مكانة المرأة في المسيحية

بقلم / القس صموئيل مشرق

سلسلة الدراسات الكتابية

تصدرها لجنة مطبوعات كنيسة الله الخمسينية
٨ شارع أحمد باشا كمال - جزيرة بدران
القاهرة

(١)

مكانة المرأة في المسيحية

بقلم
القس صموئيل مشرقي

ديسمبر ١٩٦٥

مقدمة تراث معلم الاجيال

القس صموئيل مشرقى رزق

بعد ان رحل عن عالمنا هذا الرجل العظيم فى فبراير ٢٠٠٩ وترك لنا اكثر من ٦٠٠٠ عظة مسجلة و ١٢٣ كتاب واكثر من ستون مؤتمرا وخدم جيله بامانة لاكثر من ستون عاما وجدنا حاجة المكتبة العربية والمصرية بوجه خاص لهذا التراث الثمين فقد وجدنا من الكتب المطبوعة اكثر من ٧٣ كتاب نفذت طبعاتهم فوضعنا على عاتقنا انقاذ هذاالتراث الثمين من الاندثار وحتى الان انجزنا اعادة طبع حوالى ٤٠ كتاب من اروع ما كتب ق . صموئيل مشرقى فى الدفاعيات والالهيات واللاهوت والمؤتمرات التعليمية ونصلى من قلبنا ان يكون هذا المجهود لمجد الله وامتداد ملكوته وتكريما لهذا الرجل الذى افسح المجال لعمل الروح القدس بداخله ليعزف على اوتار قلبه اروع النغمات ليخدم بها الهه ويمجده

لك عزيزى القارئ نقدم هذا التراث ونضعه بين يدى مسيحنا الحى ليعلو ويتمجد اسمه فى سموات بلادنا

محرر ومراجع التراث
د . ق . ديفيد عياد فخرى
راعى الكنيسة ورئيس مجمعها

الاهداء

إلى كنيسة الله الخمسينية بجزيرة بدران بالقاهرة تلك الكنيسة التى شاركتنى الجهاد المقدس فى سبيل الوصول إلى أسمى المبادىء الكتابية وعلى وجه أخص إلى سيداتها الفضليات :

أهدى هذا الكتاب

اعترافاً بما لهن من مكانة استدعت إخراجه إلى عالم المطبوعات تقديرا لما قمن ويقمن به من خدمات ؟

المؤلف

تمهيد

يشهد تاريخ الكنيسة بأنه لم يتم الوصول إلى التعليم الصحيح فى كل نواحيه إلا بعد بحث ومناقشة بقصد الإهتداء إليه فى ضوء الحق الكتابى ، ولهذا فقد رحبنا من جانبنا بظهور مناقضة لما أعلنته كلمة الله عن « خدمة المرأة فى الكنيسة » ،وإثارة بعض من الجدل حول هذا الموضوع واعتباره خروجا عن المكتوب وبدعه من الشيطان تستوجب المحاربة .

ولما كان السكوت عن إعلان الحق الكتابى جريمة قد تؤدى إلى خطر الهلاك الأبدى الذى يتعرض له أيضاً كل من يخرج بدافع التعصب أو التحامل أو الانقياد « بضلال الاردياء الذين يحرفون الكتب لهلاك أنفسهم » (٢ بط ٣ : ١٦ و ١٧) لذلك كان لزاما علينا أن نقوم بهذه المهمة الشاقة مهما كلفنا الأمر .

أما هذه الأمانة فيحددها التمسك بجميع نصوص كلمة الله الواردة عن الموضوع الواحد ، وهذا يتطلب ملاحظة القرائن التى تحيط بكل نص على حدة ، وكذلك مقابلة النصوص ببعضها لاستجلاء الحقيقة باعتبار قيامها موحدة فى كتاب الله،وهذا يعنى عدم صلاحية التمسك بجزء مبتور من النص وإهمال ما يسبقه أو يعقبه ، لأن هذا يعتبر التواء فى التفسير يخرج النص عن معناه الصحيح ، وهذا هو عين ما ينتج إذا ما اقتصرنا على نصوص معينة بالذات وتجاهلنا غيرها مما يرتبط بنفس الموضوع ويشهد لهذه الحقيقة الرسول بطرس بقوله : « عالمين هذا أولا أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص » (٢ بط ١ : ٢٠) أى أن تفسيرها الخاص ليس هو المقصود بعد عزلها عما ورد فى كلمة الله فى مواضع أخرى . وقد قال ستانلى جونز «إن عقائدنا الخاصة ليست نهائية لأنها عبارة عن إدراكنا الحالى لما نرى أنه الحق ، أما الحق نفسه فهو أبعد من أن نحده أو نحصره فى عقولنا،ولذا يجب أن نكون مستعدين لتصحيح عقائدنا كلما أشرق علينا نور أوفر » . وهذا مبدأ عظيم جدير بأن نتبعه نحن خاصة بالنسبة لكلمة الله التى لا حدود لمعانيها .

أما البدعة فهى « تغليب الآراء البشرية على الكلمة الإلهية » . وقد يحدث تصور خاطىء فيتوهم شخص ما أنه قد أدرك الحق فيرتئى رأيا ويتشدد فى المناداة به ويحاول أن يرغم آخرين على الاقتناع به بكافة الوسائل ، وقد يخدع نفسه بذلك دون أن يدرى أنه خرج خروجا كلياً عن دائرة الحق ونطاقه، وهذا يستلزم الحذر من السير بحسب الآراء التى من عندياتنا أو الشائعة بيننا لئلا تصبح فى غفلة منا حائلة بيننا وبين معرفة الحق الإلهى ومانعة لنا من الوصول إليه هذا إذا لم نتنبه وحسبناها الحق كله مع أنها ليست سوى أفكار بشرية ، ومن ثم فان إطلاق وصف « الكتابى » على تعليم ما، لايكون صحيحاً إلا بالتمسك بكل الكتاب كوحدة واحدة وليس بأجزاء متناثرة منه تجعله متناقضا فى حين نبهنا المسيح — له المجد — إلى ذلك بالقول « لا يمكن أن ينقض المكتوب » (يو ١٠ : ٣٥) .

وقد يبلغ الغرور بأى واحد من الأدعياء أن يتصور فى نفسه أنه قد أصبح وصيا على رعاة الكنائس الروحية ، ومن حقه أن يوجههم وينتقدهم ، مع أنه يكون هو شخصيا محتاجاً إلى من يعلمه « ما هى أركان بداءة أقوال الله » (عب ٥ : ١٢) ،وفى هذه الحالة يكون قد حمل مسئولية فوق طاقته متناسيا قول الرسول يعقوب : « لا تكونوا معلمين كثيرين يا إخوتى عالمين إننا نأخذ دينونة أعظم » (يع ٣ : ١) ، ومتحديا قول الرسول بولس لمن كان مثله : « أن لا يرتئى فوق ما ينبغى أن يرتئى بل يرتئى إلى التعقل » (رد ١٢ ٣) .

وقد يحس آخر بحرج موقفه وقصر باعه فى سرد الحجج والأسانيد وإيراد الشواهد الكتابية فيلجأ إلى التمسح فى اسم واحد من المعلمين المعروفين باعتباره الحجة النهائية والمقياس الأخير فى كل الأمور ، وكأن كلمة الله قد خرجت من هذا المعلم وإليه وحده انتهت ، وهذه ظاهرة خطيرة ، فالحق عند مثل هذا الانسان هو ماينادى به شخص معين ، وهو على استعداد لاتباع كل ما يقوله هذا لأنه يحبه وهو فى نظره معصوم من الخطأ، بينما يرفض ما يكون حقا لأنه يأتى عن طريق شخص لا يستسيغه، وهذه قاعدة خاطئة لا يصح الإستناد إليها فى الحكم على تعليم ما بأنه خطأ أو صواب

أما القاعدة الصحيحة التى يقرها كل عاقل فهى عدم قبول أو رفض أى تعليم إلا بعد فحصه فى نور كلمة الله باعتبارها المرشد الوحيد المعصوم !

الفصل الأول

مركز المرأة فى الحياة العائلية

« استطاعت حواء أن تبنى لآدم بيتا خارج الجنة ، فأقامت له البيت الأول، بيتا ملأه الحب والحنان بنور أبهى من نور الجنان » . .

لاشك أن الحديث عن المرأة قديم جداً ، لهذا كان من الواجب فى سبيل إدراك مدى نصيب المرأه فى خدمة الكنيسة ، الرجوع إلى الكتاب المقدس لبحث هذا الموضوع من أساسه .

ومن البديهى إذا أن نبدأ بما ورد عن المرأة فيه منذ فجر التاريخ البشرى ، وهذا بالرجوع إلى الاصحاحات الأولى من سفر التكوين ودراسة ماسجله الوحى فيها عن أول امرأة ظهرت على مسرح الوجود الانسانى وهى « حواء » ، خاصة وأنها مثال لكل امرأة أخرى من بعدها بحكم أن النساء جميعهن « بناتها » .

وهنا تظهر لنا الحقائق الآتية : ــ

أولا : حكمة خلقها :

« وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض . . . فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكراً وانثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا

الأرض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض » (تك ١ : ٢٦ — ٢٨) .

يبدو واضحا من هذه النصوص حكمة الخالق فى إيجاد المرأة بانتقال الوحى أثناء الكلام عن الانسان من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع . لم يكن الوحى قد أتى إلى ذكر المرأة بعد لأنه لا يتحدث عنها إلا فى الاصحاح الثانى ، ومع ذلك فانه يتكلم هنا عن أكثر من واحد فى قوله : « باركهم » ، « وقال لهم » ، لأن حواء كانت فى آدم حينئذ وقد نالت البركة فيه بل أعلن عنها الوحى أنها شريكته فى السلطان والمقام مع أنها لم تكن قد برزت إلى الوجود بعد ، وهذا يرينا أنه كان لوجودها هذا مكان أصلى فى مقاصد الله التى دبرتها حكمته . فلم يكن وجودها ثانويا أو اضافيا لأنه تعالى قد رآها فى آدم وربط وجودهما معا فى التدبير الالهى ، حتى أن حديث الوحى عن الانسان لم يكن قط عن الرجل منفصلا عن المرأة بل عنهما معا وهذا طبعا فى غاية المناسبة ! ! فلم يكن وجود المرأة أمراً عارضا فكر فيه الله فيما بعد بل كما يقول المسيح فى مرقس ١٠ : ٧ « انه من بدء الخليقة ذكرا وأنثى خلقهم الله » ! !

ويتبين من هذه الحقيقة — حقيقة ارتباط وجود آدم وحواء معا فى فكر الله — أمر آخر على قدر كبير من الأهمية هو أن الأصل فى الزواج الذى سنة الله وأسسه بين أبوينا الأولين لم يكن التعدد بل الاقتصار على واحدة ، لأن الله سبحانه وتعالى عندما أراد تعمير الكون لم يبدأ بآدم واحد وأربع حواءات مثلا ، ولكنه بدأ بآدم واحد وحواء واحدة ! !

• • •

يتضح من ذلك أن خلق المرأة مع الرجل كان أمراً ضروريا قررته حكمة الله ، فلما خلق الله آدم ووضعه فى جنة عدن سرعان ما سئم الوحدة فيها ، وعندما جاءه المولى بالحيوانات والطيور دعاها بأسماء وكانت جميعها تمر أمامه ذكراً وانثى ، ولقد بلغت به وحشته حداً أحس فيه أنه أتعس الكائنات حتى أنه حسد الحيوانات لأن كل ذكر كانت له أنثاه ، وأما لنفسه فلم يجد معينا يليق به ، فلم يكن بين المخلوقات

الأخرى من يصلح لهذه المهمة السامية مما يدل على عدم كفاية كل الخليقة — بدون حواء — لإسعاده ، فهو فريد فى العظمة والأهمية ، ومنذ تلك اللحظة بدأ يفهم وضع المرأة ويستعد لقبوله ويتجاوب مع حكمة الله التى اهتمت به من هذا الوجه !

ولقد كان قصد الله تعالى من وراء عرض جميع الحيوانات والطيور على آدم أن يوقفه على العلاقة الزوجية التى تربط بين كل زوجين منها تمهيدا لإعداد ذهنه لإدراك العلاقة المقدسة التى أنشأها الخالق العظيم بين الرجل وزوجته ، مثبتا بذلك أنه هو تعالى الذى رسم شريعة الزواج قبل دخول الخطية إلى العالم فقد قرر خلق المرأة كما أصدر الأمر الالهى بالتناسل قبل السقوط وهذا هو أساس الزواج المقدس كما وضع أصلا ، لأنه سبحانه لايحتاج إلى التعلم بالاختبار وعن طريق التجربة والخطأ ، لأن جميع أعماله معلومة عنده منذ الأزل ، (أع ١٥ : ١٨) فقبل أن يخلق آدم علم أنه ليس جيدا أن يكون آدم وحده ، ولذا وضع تصميما أن يوجد لهمعينا نظيره ، ولما خلق حواء عقد بنفسه بينها وبين آدم أول زواج مبارك ، وقد عقده بينهما وهما طاهران نقيان بلا خطيه لأنهما لم يكونا قد عرفاها بعد !!

فى خلق الزوجين الذكر والأنثى معجزة إلهية تعلن عن صنع الحكيم العزيز ، ومع أن القصد الأساسى منها هو تعمير الأرض وحفظ النوع بالتناسل مما يجعل الذرية غاية الزواج الرئيسية ، ولكن الزواج السعيد يمكنه أن ينشأ وينمو ويدوم بلا أولاد،لأنه قبل كل شيء معاشرة إنسانية بين شخصين يتبادلان الحب والاحترام والكياسة ، وهذا يستلزم أن تسود روح الصداقة والمودة بين الزوجين ، وهذا هو أساس عش الزوجية السعيد !!

. . .

نعم ، لقد احتقر الرجال المرأه بقولهم أن حواء هى التى أخرجت آدم من الجنة ، ولكنهم يتجاهلون أنها هى التى عوضته عن البستان الذى خرج منه بستان آخر لا يقل عنه جمالا وبهاء ، هو بستان البيت ، ومع أنها لم تأخذ معها شيئاً من بستان عدن ، ولكنها أخذت حبها وأسست به البيت الأول خارج الجنة !

كان بيتا خشن البناء مؤسساً بأثاث خشن ، بل كان كوخاً بدائياً ينقصه كل شيء ! ولكنه كان أسعد بيت إذ كان الحب يملأه ويضيء جنباته ، ويحول خشونته إلى ليونة ونقصانه إلى ترف . فى ذلك البيت سكبت الزوجة كل حبها وحنانها فى كأس روت به زوجها ، وعاونته فى عمله الشاق . كانت تمسح عرق جبينه بقبلاتها ، وتخفف آلامه بكلماتها ، وبدأت تملأ بيته بالبنين والبنات ، ومنذ ذلك اليوم عرفناها باسم الأم الأولى « حواء أم كل حى » !

وهكذا اجتمعت فى حواء وتلاقت عندها هيبة الزوجة وحنان الأم ، فصارت عنوان المرأة المتكاملة التى تستحق كامل التقدير والعرفان بالجميل لأنها خططت البيت السعيد الذى أصبح فيما بعد المكان الذى يلتمس فيه الرجل العزاء ، فليس البيت مجرد فندق يأوى إليه بعد قضاء يومه فى عناء العمل ، كما أنه ليس مطعما يذهب إليه لتناول وجبات الطعام ، لكنه أسمى من ذلك بكثير !

كما أنه ليس مدرسة يقوم فيها الزوج بدور المدرس ويعتبر الزوجة والأولاد تلاميذه الصغار ، ولاهو بالسجن يمثل فيه الزوج دور السجان القاسى الذى يجلد الزوجة والأولاد يضربهم ويسومهم سوء العذاب ، لأن « الصديق يراعى نفس بهيمته » (أم ١٢ : ١٠) فكم بالحرى يتسامى فى معاملته لزوجته التى يجب أن تكون ملكة البيت خاصة وأن البيت هو دائرة نشاطها الطبيعى الذى تتعاون فيه مع الرجل ، والزوج الذى يظهر فى بيته أسوأ ما عنده من طباع ، ويلعب فيه دور الدكتاتور الذى لا يرد له أمر ، يتناسى أنه يحرم بذلك نفسه من العش السعيد المملوء بالهناء والحنان ، فلا يجعل لنفسه من بيته قلعة طمأنينة وحصن أمان إزاء صروف الزمان ! .

ثانياً : دقة صنعها :

« فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام . فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما . وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة » (تك ٢ : ٢١ و ٢٢) .

لقد رثى الله لوجود آدم وحده ولم يجد له فى كل الخليقة معينه تليق به كما سلف

القول ، ولكن سيد الأكوان كان قد دبر الأمر ، وأراد أن يصنع له زوجة فأوقع عليه «سبات نوم عميق» ، وفى أثناء ذلك أخذ واحدة من أضلاعه وهو نائم ، واستيقظ آدم من سباته ليجد أمامه كائنا إنسانياً رائعاً هو الذى تحدث عنه الله كشريك للرجل فى بركاته وفى سلطانه .

ولاشك أن حواء كانت جميلة بل آية فى الجمال ، فقد كانت الطبعة الأولى التى صنعتها يد القدير قبل أن تجرى عليها الخطيئة ما أجرت على الناس ، ولا تزال بنات حواء يحتفظن حتى اليوم ببقية من جمالها الباهر بالرغم مما جلبته عليه الخطية من آثار شوهته يحاولن إخفاءها بشتى المساحيق وسترها بالزينة الخارجية الأمر الذى ينهى عنه الكتاب المقدس بقوله لهن : «ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب » (ابط ٣ : ٣) وأيضا : « وكذلك أن النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب أو لآلىء أو ملابس كثيرة الثمن (١ تى ٢ : ٩) وقد اعتبر الكتاب « التحلى بالذهب كالآلهة الغريبة » (تك ٣٥ : ٤) كما أنه يذكر فى عدة مواضع منه أن قص الشعر بالنسبة للمرأة عمل قبيح « لأن شعرها هو مجد لها» (اكو ١١ : ١٥) وقد كان ضياعه علامة من علامات السبى (اش ٤ : ١٧) ، فضلا عن تأكيده جمال التقوى فى المرأة بقوله : « الحسن غش والجمال باطل . أما المرأة المتقية الرب فهى تمدح » (أم ٣١ : ٣٠) لأن زينة المرأة الحقيقية هى فى « إنسان القلب الخفى فى العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادىء الذى هو قدام الله كثير الثمن » (ابط ٣ : ٤)

ولم يكن ذلك الجمال الخلاب هو كل ما تميزت به حواء ، لكنها أيضاً قد تميزت بدقة الصنع فان الكلمة « بنى » التى استعملها موسى ، وهو يصف عملية خلق المرأة كلمة فى الأصل غنية بالمعانى تشير إلى دقة الصنع وروعة الإبداع ، ووصف الكتاب لها فيما بعد بانها « الاناء الاضعف » (ابط ٣ : ٧) إنما يحمل معنى الإناء الأدق صنعاً وذلك لأن المرأة وإن كانت تماثل الرجل فى التركيب الخارجى إلا أنها تختلف عنه فى التركيب الداخلى ، وقد أعدها الخالق بكيفية تؤهلها لإنجاب الحياة البشرية وتوليدها ! !

وهذا الامتياز الآخر يحمل ضمنا فى معناه القابلية للكسر ، وليس هذا قاصرا على الوجهة الجسدية فحسب بل يجاوزها إلى الناحية النفسية والروحية أيضاً ، ففى إمكان معاملة الزوج القاسية لها أن تكسر قلبها وتذبل صحتها ، وتحطم روحها ، هذا إذا ما تصرف معها بغير فطنة أى فى غير معرفة بالمعقول ، وهذا يتطلب من الزوج ذهنا صاحيا ونشيطا يحكم فى كل سلوكه باتزان وصلاح ، وإلا هدم بيته بيده وأحال العيشة معه جحيما لايطاق . وطيبة قلب الزوج إن لم ترافقها الفطنة تعتبر صفة رديئة جداً تضرب العلاقة الزوجية الجميلة فى الصميم فتجرحها ثم تقتلها !!

ولذا فان الزواج الناجح يتطلب أن يتخلى الزوج عن جزء من فرديته وآرائه ومسراته لتطعيم نفسه فى فردية وآراء الطرف الآخر ومسراته . وهذه هى المحبة فى معناها الصحيح فانها ليست مجرد امتلاك جسدى بل هى اندماج روحى وتجاوب عاطفى لإيجاد أرقى نوع من الترابط بين الجنسين . وبذلك يتحد الشريكان فى وحدة أعظم وتتفق إرادتهما فى توافق أسمى وتتجدد محبتهما رغم تقلبات الحياة من الينابيع الإلهية التى لاتنضب ، وهكذا تظهر السعادة فى حياتهما المغبوطة فيلاحظها أولادهما ويلمسها من يكونون بقربهما !!

ثالثاً : لياقة تكريمها :

« . . . وأحضرها إلى آدم فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى هذه تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت » (تك ٢ : ٢٣) .

يستند أكثر الذين يريدون إشعار المرأة بافضلية الرجل عليها إلى عبارة واحدة وردت فى العهد الجديد تقول « أن الرجل هو رأس المرأة » ، ويتخذون هذه العبارة التى وردت فى إحدى رسائل بولس الرسول ويجعلونها سندا لسيطرة الرجل وسيادته المطلقة على زوجته ، وهذا الإدراك فى الواقع بعيد كل البعد عن المعنى المقصود بها وسنوضحه فى موضعه عندما نصل فى بحثنا إلى تكريم المرأة فى دائرة النعمة .

أما الآن فيهمنا أن نقف على نواحى تكريم المرأة فى دائرة الخليقة وها نحن نراها بأجلى بيان فى الأمور الآتية : —

١ — أنها تحمل صورة الله كالرجل تماما : وهاهو النص الذى يسجله الوحى فى هذا الشأن : « فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم » (تك ١ : ٢٧) ، وهذه هى صورة الله الشبيهة أى التى ظهر بها الله فى ابنه للخلائق العاقلة وهذه الصورة هى الأصل أو النموذج أو المثال الذى صنع الله عليه كلا من آدم وحواء على السواء . وقد تضمن الوحى فى رسالة كورنثوس الأولى ص ١١ : ٧ تأكيدا لهذه الحقيقة بالقول : « أن الرجل صورة الله ومجده ، وأما المرأة فهى مجد الرجل » فالوحى هنا لا يقول أن المرأة هى صورة الرجل بل يصفها بأنها مجده فقط ، وهذا لكونها هى أيضاً خلقت على صورة الله كالرجل ، وهى بهذا تتساوى به باشتراكها معه فى هذه الكرامة ، وهذا يعنى أن من حقها أن تتقدم عن نفسها وبنفسها إلى شركة مباشرة مع الله ، وهذا هو امتيازها الأول والعظيم الذى سنعود إلى توضيحه أكثر فيما بعد ، وهو يعلن بكل وضوح تساوى المرأة مع الرجل فى حضرة الله !!

٢ — إنها توصف بأنها معين للرجل نظيره : وقد أطلقت عليها هذه الصفة من فم الله نفسه إذ قال : « ليس جيدا أن يكون آدم وحده فأصنع له معيناً نظيره » (تك ٢ : ١٨ و ٢٠) ومعنى ذلك أنها خلقت للرجل معينا لتلازمه وتكون مصدر مسرة له وتتبادل معه الآراء والعواطف ، وكان الله فى هذا مهتما براحة آدم وتبديد وحشته ، ولفظة « نظيره » تعنى شبيهه فى الطبيعة والدرجة لأن « النظير » لغة هو « المثيل » و « المساوى » ، ولهذا يجب أن يكون هناك تناسب بين كل زوجين فى جميع النواحى ، فلا يجوز أن يكون هناك فارق كبير فى السن أو الشكل أو العلم أو الطباع أو العادات لأن عدم وجود المساواة فى أية ناحية لابد أن يجلب المتاعب بمرور الأيام !!

وعش الزوجية المشترك يجب أن يدار بديمقراطية يتساوى فيها الطرفان — الرجل

والمرأة — كل منهما بحسب مقدرته وإمكانياته ، وهذا وحده كفيل برفع الزوجات من كادر الخادمات والشغالات، ويجعلهن القوة الدافعة التى تبعث فى قلوب الأزواج الآمال والأمانى وتخلق فيهم العبقرية والنبوغ بل الذوق السليم والأدب الرفيع والارتقاء فى مدارج السمو والعظمة .هذا هو فن الحياة بل الطريق الوحيد نحو أرض الأحلام !

٣ — إنها تكملة الرجل وملء كيانه : فمع أنها قد أتت بعد الرجل فى الترتيب الزمنى، وتعتمد عليه فى الحياة الطبيعية، لكنها كانت تكملته اللازمة ولهذا فقد أوجدها له الله . فالرجل مع أنه جبل أولا ولكن المرأة كانت فيه وبنيت منه ، وتم هذا فى أثناء نومه العميق حتى لا يكون له دور فى تكوينها يتيه به عليها ويفتخر ، كما أنها صنعت بغير الأم أو آثار جروح حتى لا يكون له فضل أو تضحية تدفعه لاحتقارها والازدراء بها ، وفى خلقها من إحدى أضلاعه دليل على تكريم فريد ، فانها لم تخلق من رأسه حتى لا تتكبر عليه ، ولا من قدمه حتى لا يدوسها برجليه ويجعلها تحته ، بل هى من جنبه ، من تحت إبطه حتى يحميها، ومن ضلعة بجوار قلبه حتى يحبها ويرفعها إلى مستواه فيساويها بنفسه ولهذا قيل عنها أنها «هى نفس الإنسان الأخرى» لكنها ليست سيدته، كما أنها ليست أمته، وإنما هى شريكته التى تقف بجواره وجنبا إلى جنب معه لا تقل عنه ولا تسمو عليه افكل منهما قد خلقه الله للشريك الآخر ومن أجله مؤيدا ومكملا حتى أنه لن يستريح أحدهما بمفرده، فمن الواجب إذن أن يحسب كل منهما رفيقه الآخر أقرب ما يكون إلى المثال الكامل الذى يتصوره فيه ، وحينئذ يعمل على التأثير فى شريكه ليكون أكثر انطباعاً على هذا المثال. وبذلك يتم التوافق بين شريكى الحياة ويتقارب التطابق المثالى بينهما . وهذه العملية ليست هينة لأنها طريق بناء « الحياة المثالية » ولكنها الطريقة الوحيدة التى تعطى إشباعا تاماً ودائما لأولئك الذين يقرر كل منهم هذا القرار الخطير « لقد ارتبطت للحياة وسيكون قصدى إرضاء الشريك الذى اخترته » .

٤ — إنها هدية الله الكريمة للرجل : فبعد أن صنعها الخالق العظيم لتكون ختام عمله فى الجنة أحضرها إلى آدم وقدمها له باعتباره أبوها وولى أمرها لكونه تعالى قد صنعها بيديه ، وقام بتقديمها هدية كريمة من خالق كريم، وقد قام المولى بنفسه بعقد

الزواج الأول الذى هو أقدس زواج عقد فى العالم ، وما أن تم العقد حتى تلفت العريس «آدم» إلى عروسه «حواء» فارتسمت على محياه ابتسامة الرضا وقام بالترحيب بها قائلا : « هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى . هذه تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت » ، ولاشك أن آدم قد أخذته نشوة وهو يتسلم من الله زوجته الحسناء ، فقد رآها من جنس آخر غير جنسه ، فأدرك أن الغريزة الجنسية بالنسبة لكل منهما هبة إلهية غير نجسة بل واجبة الاحترام والتقديس لأنها من صنع الإله القدوس ! ولهذا فقد أعطى الله فيما بعد تحذيرا على فم أشعياء النبى الذى قال : « ويل للذى يقول لأبيه ماذا تلد وللمرأة ماذا تلدين . » (اش ٤٥ : ١٠) قاصداً بذلك منع الاعتراض على أحكامه تعالى من جهة من يولدون سواء أكانوا ذكورا أم أناثاً حيث أنه ليس من حق أحد — كائنا من كان — أن يعترض على ما يخلقه المولى جل وعلا ! ؟

وهذا يمنع الحزن والوجوم لولادة البنت ويحرم قتلها عند ولادتها خشية العار المزعوم ، كما لا يجيز اعتبارها سلعة يحصل عليها الرجل بطريق البيع والشراء فتصبح من ممتلكاته يفعل بها كما يشاء مثلما هو حادث فى بعض المناطق النائية حتى الآن ، حيث تعتبر المرأة ضمن المغانم التى يستولى عليها من يغلب من المحاربين وكأنها فى عصور الرقيق حيث لم يكن ثمن المرأة المعروضة لتباع أمة ليزيد عن نصف ثمن الرجل المأخوذ عبداً . . فهضمت بذلك حقوقها وتقوضت إنسانيتها وليس أشنع مظهراً لهدر الكرامة الإنسانية من هذا المظهر ، فان المرأة لدى القبائل الوثنية مازالت مخلوقا لا مركز له ولا كرامة .

أما كلمة الله فقد ساوت بين البنين والبنات : فهم مثل الغروس النامية وهن كأعمدة الزوايا (مز ١٤٤ : ١٢) أى الأعمدة التى عليها وبها يرتبط البناء ، وحقا بالفتاة يربط البناء العائلى وبغيرها لا يبنى بيت ، فهى التى تربط العائلات ببعضها . . وهذا يبين مقامها الرفيع كعامود الزاوية فى الهيكل المقدس ! !

وجاء الرسول بولس ليعلن فى رسالة كورنثوس الأولى أن فضل الرجل على

المرأة بكونها قد أخذت منه قد انتهى لكون الرجل الآن هو بالمرأة أى أنه يأتى إلى الوجود عن طريقها فقال : «لأنه كما أن المرأة هى من الرجل هكذا الرجل هو أيضاً بالمرأة ولكن جميع الأشياء هى من الله . » (اكو ١١ : ١٢)، فمع أن المرأة الأولى قد صنعت أصلا من الرجل هكذا أيضا يصنع الرجل الآن من المرأة ، ولهذا فلم يوجد على وجه الأرض رجل واحد بعد آدم لم تلده امرأة حتى دعى الإنسان فى سفر أيوب : « مولود المرأة » ، فكل من الرجل والمرأة على السواء كسائر الأشياء مدين بوجوده لله ، وهكذا زاد الله الإنوثة تبجيلا وتكريماً !!

٥ — إنها أقرب للرجل من والديه : فقد قال آدم بروح النبوة : « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته » هذا هو قصد الله فى كل زواج جديد ، فالنموذج المثالى له هو عيشة مستقلة عن الوالدين ، فان الصلة بهما ينبغى ألا تطغى على الصلة الحية الخالدة بين الزوجين التى تجعل منهما دائرة واحدة تضم الزوج وزوجته فقط ، لأن صلة الرجل بزوجته أهم من صلته بأبيه وأمه التى لايجب أن تستمر سيطرتها على حياته مما يشعر المرأة بأنها ضيف غريب فى بيت زوجها ، هذه خطوة لازمة يقوم بها الرجل من جانبه ولا تعتبر عقوقا منه وخروجا عن طاعة والديه ، وقد توجد ظروف تحول دون اتخاذ هذه الخطوة كالمرض أو الفقر ، ولكن فى كل عيشة مشتركة توجد متاعب تستلزم عناية بالغة ومهارة فائقة لتجنبها حتى ولو تمتع كل أفراد الأسرة بجميع صفات المسيح ، فاذا اضطر العروسان للعيشة المشتركة مع الوالدين فانهما يعيشان تحت المقياس المطلوب ، ولا بد أن تتسرب إلى بيتهما مياه المتاعب مالم يعمل الجميع معا على إقامة سدود قوية من الاحتمال ، الأمر الذى قد يكون متعذراً فى كثير من الأحوال ، وحينئذ فان الامتناع عن تأسيس بيت مستقل يعلن به الرجل أن زوجته قد صارت أقرب اليه من والديه قد يؤدى إلى التنافر فى أغلب الأحيان ، إذ يجعل كلا من الزوجين يعيش غريباً عن الآخر حتى ولوكانا تحت سقف واحد . وإن قيل بأن هناك وصية تقول : « أكرم أباك وأمك » . فان اكرامهما يجب ألا يكون على حساب كسر الوصية الأخرى التى تأمر الرجـــل بأن يترك أباه وأمه فى سبيل زوجته .

٦ — إنها اتحدت بالرجل اتحادا تاما : كما هو واضح مما قيل عن الرجل بعد ذلك من أنه « يلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا » ، وهذا تعبير عن الصلة الطبيعية بين الرجل وزوجته كما تمارس فى الحياة الزوجية ، وهى تاج الصلات الأخرى . فالزواج ليس صلة روحية فحسب ولكنه أيضا صلة جسدية ، وهى تعنى تسليم كل من الزوجين نفسه للطرف الآخر تسليما تاما دون أدنى خوف لأجل الوصول إلى الاتحاد الكامل روحا وجسدا فيصبح شريكا الحياة فى صداقة عميقة دائمة . وهذا يعنى الاتفاق فى المصالح والتوافق فى المثل والأمزجة والأهداف مما ينفى احتقار أحد الشريكين لمثل الشريك الآخر أو التذمر من أمزجته أو مقاومة أهـــدافه !!

وهذا يدحض رأى العقلية القديمة التى تقول أن الزوجة والزوج واحد ، وهذا الواحد هو الزوج فقط لأن هذا كان سببا فى ان يصف بعضهم نظام الزواج الحالى الذى يسىء فيه الزوج إلى زوجته بأنه نوع من الرق المشروع تباع فيه المرأة للرجل!! فى حين أن الهدف الأساسى من الزواج هو اندماج الزوجين معاً بدون تفرقة ما ، وهذا يعنى الوصول بهما إلى الاتحاد الكلى فى الفكر والقصد الناتج عن المشاركة التامة فى كل نواحى الحياة ، وهذا هو القصد الالهى فى الزواج ولا يتم إلا بالنضوج اللازم مع الزمن ، لكنه يقدس ويضمن كل ماهو نبيل وفاضل فى البيت المسيحى !!

. . .

وهكذا ثبت لنا من كلمة الله ذاتها لياقة تكريم المرأة باعتبارها صنو الرجل ، ومع أن دورها قد يختلف عن الدور الذى يقوم به الزوج فى بناء كيان الأسرة ، إلا أن هذا لا يقلل من قيمتها أو يحط من قدرها أو يضعها فى مكانة أقل من مكانة زوجها.

ولكن الانسان الخاطىء يحس بأنه فى مستوى أعلى من المرأة وأن عليها أن تخضع له خضوع الأمة الذليلة لسيدها الجبار ، وبفعل هذا الاحساس تسيطر على ذهنه خرافة « سيادة الرجل » التى تتبدد أمام شمس الحقيقة الكتابية الساطعة !!

ولذلك يقول ماير فى كتابه « أضواء على مهمة الحياة »: « احذر الشخص الذى يتكلم عن النساء بعدم إحترام ، فان الكثيرين يهزأون بأية إشارة إلى طهارة وعفة الحياة العائلية ، ويعتقدون بأن المرأة لم تخلق إلا لكى تكون متعة الرجل ، ودون أن يكون لديهم أقل فكرة عن أنها مساوية للرجل وشريكة حياته ومعينة نظيره . إحذر أمثال هؤلاء ، فالأرجح أنهم لم يعيشوا إلا ليقتنوا الجنس الأضعف الذى يدنسونه الآن ، فأبعدتهم رذيلتهم بطبيعة الحال عن جماعة الاطهار الأتقياء »

وتشهد الأخت ماريا جوزيفا ميننذز — الراهبة الكاثوليكية — فى كتابها « دعوة إلى الحب » بأنها بالرغم من الصعاب التى إكتنفت حياتها العائلية من قبل فإنها تذوقت السعادة فيها فعرفت مافى حياة الاسرة من الأنس والحلاوة ولقد شاركت هى نفسها فى ذلك بدماثة أخلاقها ونشاط أعمالها، مع اللباقة فى إرضاء غيرها ونسيانها نفسها ، فكانت تبدو على أعظم الأفراح التى هى سمة البيت المسيحى الحقيق !!

أما فرنسيس ديكسون — الخادم المعمدانى المعاصر — فأنه يعدد الخدمات النافعة التى يحق للمرأة أن تؤديها فى دائرة البيت السعيد فيقول : « إنها تستطيع أن ترى أولادها فى خوف الرب وإنذاره وكذلك يمكنها أن تظهر الضيافة والكرم ، كما أن بمقدورها تخفيف آلام المصابين وتعزية المجربين ، فضلا عن أن فى وسعها أن تتبع كل صلاح وتشجع عمل الخير بكافة أنواعه ثم يعقب قائلا : « أننا بلا شك نحتاج لهذا النوع من النساء ، ومع أن لدينا عدداً ليس بقليل منه ، ولكننا نطلب المزيد »

وكل هذه شهادات قاطعة تثبت مركز المرأة فى الحياة العائلية !!

الفصل الثانى

منزلة المرأة فى الحياة الاجتماعية

« المرأة كوكب يستضاء به فى الظلام ،
وعلى أكتافها يقوم كل عمل جليل ، يشهد
لها بهذا تاريخها المجيد المسطر على جبين الزمن »

لقد أودع الخالق فى الانسان مجموعة من الغرائز هى قوى فطرية أوميول وراثية لأنها تصدر عن معمل الحياة الداخلية من غير أن تحركها أو تثيرها العوامل الخارجية، ولهذا يمكن تسميتها « منابض الحياة » .

ويذكر الكتاب المقدس فى بدايته أهم هذه الغرائز ومنها : —

١ — غريزة السيطرة : وهى الدافع الذى يستحث الإنسان على العمل ويدفعه إلى استغلال موارد الأرض والسيطرة على كل مافيها من امكانيات وخيرات ونقرأ عنه فى الكلمات : «نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميـــع الدبابات » . (تك ١ : ٢٦) .

٢ — الغريزة الجنسية : وهى أيضاً دافع غريزى غايته استمرار السلالة ولهذا فان هدفها الأساسى هو التناسل ، وهذا الدافع هو الذى يدفع الانسان إلى التجمل والتزين واستحواذ الجاه والسلطان ليجذب اليه قريناً أو قرينة . ونقرأ عن هذه الغريزة وتسمى أيضاً « غريزة حفظ النوع » فى الكلمات : «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض » . (تك ١ : ٢٨) .

٣ ــ غريزة البحث عن الطعام : وهى دفع فطرى تقتضيه القوة الحيوية اللازمة لنمو الفرد وبقائه إلى أجل ، وهو يتحرك من ذاته حتى إذا لم يوجد الطعام ليحركه ، ونرى هذه الغريزة واضحة فى الكلمات : « وقال الله انى قد أعطيتكم كل بقل يبذر بذرا على وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبذر بذرا لكم يكون طعاما » . (تك ١ : ٢٩) .

٤ ــ الغريزة الاجتماعية : وهى الدافع الذى يظهر فى رغبة الاجتماع مع الآخرين فى رقعة هذا الوجود ، وهو الذى يجعل العزلة غير محببة فى أرجائه الفسيحة ، ولهذا اعتقد ملتون أن الأمر الإلهى الأول لم يكن عن الاثمار وملء الأرض بالذرية ، ولكنه كان فى نظره هو الإعلان عن الشريك الآخر حين قال الله : « ليس جيدا أن يكون آدم وحده . فأصنع له معينا نظيره » (تك ٢ : ١٨) ، فالشعور بالوحشة هو أول ما رآه الله سيئاً بالنسبة للانسان ، فدبر أن تنتهى فترة توحد الرجل بايجاد شريك له ــ وهو المرأة ــ باعتبارها شريكه من الجنس الآخر .

ويوضح المعنى الذى يقصده بقوله : « إن أسمى غرض للزواج ــ كما أراده الله ــ هو اجتماع شخصين متباينين يرتبطان معاً وينسجمان تماما فى الحديث والنقاش والتبادل الفكرى ، مع أن كلامنهما يتميز عن الآخر بمواهب وامكانيات خاصة » . ولاشك أن غريزة الاجتماع هذه هى أساس سعادة الجنس البشرى لأنها الدافع إلى تكوين الأسرة باقتران رجل وامرأة يخرج منهما بفعل الغريزة الجنسية نسل يحفظ النوع البشرى من الانقراض ، ويكون ــ فى نفس الوقت ــ سببا فى توسيع نطاق المجتمع ، وبذلك تحولت الأسرة إلى عشيرة بل إلى أمة كبيرة ومن مجموعة هذه الأمم تكونت العائلة البشرية التى تسكن على وجه كل الارض وهى « المجتمع الإنسانى الكبير » ، وقد شهد لهذه الحقيقة ميثاقنا الوطنى العظيم فورد فيه أن « الاسرة هى الخلية الأولى للمجتمع » .

. . .

يتضح من ذلك أن الانسان كائن اجتماعى بهيات أن يجد متعته فى حياة النفور من المجتمع واجتنابه ، فلقد قيل : « ما من تجربة فى الحياة أمتع من تجربة الالتقاء بشخص جديد لأنها تحرك النفس — فيما لوعرفت — إلى استخلاص المتعه من التواجد معه » ، ولاشك أن هذا الاستمتاع يزداد كلما اتصلت الأسباب بين الشخصين وتكرر اللقاء وازداد التعارف .

ولما كانت المرأة — كما سبق القول — هى الكائن الذى أوجده الله خصيصا لتبديد وحشة الرجل فان ذلك يستدعى — بلاشك — بحث مكانتها فى الحياة الاجتماعية فنعرف عنها من هذا الوجه الحقائق الآتية : —

أولا : هى عنوان للحياة الاجتماعية :

فقد قال الرب الإله : « ليس جيدا أن يكون آدم وحده . فأصنع له معينا نظيره » (تك ٢ : ١٨) ولهذا خلق له حواء لتكون شريكة له فى الحياة ، يتبادل معها الأفكار والكلمات ، والنظرات والعبرات بملء المحبة التى هى رباط الكمال بينهما ، وهذا يؤكد أن كلا من الرجل والمرأة قد خلق للآخر فلا يستريح أحدهما بمفرده بدون رفيقه ، وهذا هو المجال الطبيعى لغريزة الاجتماع ، فانها تتجلى أصلا فى الاهتمام العاطفى الذى يبديه كل منهما نحو جميع شئون الشريك الآخر ، وهذا له أهميته العظمى فى شعورهما بالسعادة المشتركة ، ولاشك أن فى تبادلهما السعادة معينا لا ينضب من المسرة والتنوع وذلك للغنى المتوفر لدى كل شخصية بشرية من الجنسين فى كل الإمكانيات . ونجد فى هذا تخلصا من احتمال تناقص السرور بينهما لأن جمال شخصية كل منهما فى نظر الآخر لن يقل ولكنه فى الواقع يتزايد مع مرور الأيام ، وهذا هو الأساس السليم لغريزة الاجتماع التى يتسع نطاقها فى المجتمع ، لأن التآلف الزوجى يخرج من الزوجين معا أعذب ألحان الحياة ، وكأن كل منهما وتر فى قيثارة ، والضرب على أحدهما منفردا يخرج نغما واحدا عذبا ، أما الضرب عليهما معاً فانه يخرج إلى الوجود أنشودة الحياة ! !

وهذا يساعد على تمكين الفهم المتبادل بين الرجال والنساء بصفة عامة وهو مفتاح

إدراك الحياة بأسرها ، وأساس التجاوب بين أفراد المجتمع البشرى رغم اختلافهم جنسياً !! يؤيد هذا ما أثبته التاريخ الكنسى بما حدث فى أيام الاضطهاد الذى وقع على المسيحيين فى عصور الاستشهاد ، فرأينا الكثيرين منهم يندفعون للانعزال عن المجتمع ، وقد اتخذت هذه العزلة صورة الفرار من الجنس على وجه خاص ، لأن الهروب من المرأة كان يعتبر حينئذ أهم جزء فى التخلى عن المجتمع الانسانى المطلوب هجره بأسره — لأن عامل الجنس هو أقوى ميز يلازم الطبيعة البشرية ، فاتخذوا موقف التخلص منه ليقابلوا به مواجهة مجتمعهم المعاصر الذى كان يقف منهم موقف العداء ، وكان هذا هو السبب فى احتقار المرأة والنفور منها باعتبارها عنوان المجتمع ورمزه لأنهم رأوا أنها هى السبب فى قيام الحياة الاجتماعية أصلا !! وذلك لأنها باعتبارها العضو الآخر فى النظام الاجتماعى الانسانى ، نجدها مصدر وجود الانسان بحسب قانون طبيعى مرتبط بها ، فضلا عن دورها فى تربية الانسان أيضاً لأنها — كالأم — موطن عواطف المحبة والتضحية وهذا يبين وظيفتها الهامة الخطيرة فى تنشئة مجتمع راق متقدم !! وهذا يظهر غريزة الجنس لا كمجرد لذة شخصية بل كجزء حيوى من تركة البشرية !!

ولذلك فبالرغم من هذه الصعاب الهائلة التى وقفت فى طريق الحياة الاجتماعية بقصد تحطيمها ، وبالرغم مما أضيف إليها فيما بعد من أعمال الخيانة والغدر وحوداث الانفصال والطلاق ، فان هذه الحياة الاجتماعية قد مضت فى طريقها على أساس ثبات دعائم العلاقات بين الزوج والزوجة بسر المحبة المتبادلة بينهما ، تلك المحبة التى لا تقبل أن ينفصل أحدهما عن الآخر بل تعينهما كليهما على تبادل الاحتمال بثبات .

وهذا هو سر الارتباط الذى يبقى ويدوم لأنه بداية الحياة الاجتماعية السعيدة ، التى لانهاية لها ، لأن الزوجين المغبوطين سيظلان معا أمام الله بسبب شركتهما فى نعمة الإيمان الواحد ، فبعد حصولهما على النجاح والسرور فى هذه الحياة ، ينالان شرف الجلوس فى عرس الخروف بعد الانتقال من هنا ، ويلتقيان هناك بجمهور المفديين المباركين فى الاجتماع الأبدى الملىء بالافراح الدائمة والذى يتميز نهائيا بأنه لارجل فيه أو امرأة إذ يكون الجميع كملائكة الله فى السماء ، والفراق أيضاً لن

يكون هناك فيما بعد ، وسيكون الاجتماع حلوا لذيذا تبدأ به أجيـــال دهور الأبدية اللانهائية ! !

ثانياً : هى مصدر آداب للانسانية :

فإن وجود الجنس الآخر لغرض مقدس عظيم هو حفظ النوع وبقاء الحياة واستمرارها على هذه الأرض، قد تطلب أن يحفظ الانسان نفسه طاهراً (١تى٥:٢٢) مما استلزم الابتعاد عن الشهوات بل الهروب منها ، وضرورة النظر للجنس الآخر نظرة نظيفة طاهرة . فان كل فتاة أوامرأة واحدة من أربع إما أم أو زوجة، أوأخت أو ابنة ،ولا شك فى أن كلا منا يرغب فى أن تكون كل واحدة من هؤلاء عفيفة طاهرة ، ولذا كان العفاف رمز المرأة الذى اتخذ مظاهر الحشمة والورع ، وهو درع وقايتها المنيع فقد ميزت الطبيعه المرأة بالحياء ، وهذا يعطى الغريزة قيمتها واحترامها كما أنه يقدس العلاقة الزوجية لضمان بقاء الأسرة وسلامتها . وهذا بالطبع هو أساس مدنية المجتمع ورقيه ، كما أنه أساس الصفات الإنسانية النبيلة فى الأفراد بتسامى الغريزة الحيوانية الخشنة إلى صفات الحب والأمانة وما إليهما.

وبجانب هذا فقد ظهر بسبب الجنس ضرورة لازمة هى « التسامى الجنسى » الذى يعنى تحويل هذا الدافع إلى أعمال عظيمة إلى أن يحين موعد استخدامه شرعيا ، ويقرر علماء النفس أنهم وجدوا عنصرا جنسيا قويا فى كثير من آثار الموسيقيين والشعراء والأدباء ، وغيرها من الأعمال العقلية المبتكره . فهذه الأغراض الثانوية هى مجالات سامية تتجه إليها الغريزة الجنسية التى تضبطها النعمة ، فتوزع نشاطها على مناطق أوسع من الحياة ، ومن هنا ينشأ التسامى باستعمالها فى نواحى أسمى من استعمالها فى دائرة الناحية الجسدية فقط ! !

وهذه الأعمال النبيلة تفيد المجتمع ، والواقع أن أكثرما نسميه مدنية وحضاره ورقيا ليس سوى ثمرة هذا التسامى الجنسى الذى أدى إلى الانصراف إلى الفن والعلم وسائر الأغراض النبيلة الأخرى، وتظل المرأة عنوانا للأدب الرفيع بعد الزواج ، فقد استطاع روكفلر أن يقول : « كل شىء حسن وجميـــل حولى إنما هو من

صنع زوجتى » ، وقال آخر : « إن المرأة التى تحظى بأكبر جانب من التقدير فى العالم كله هى الأم » !

ولقد وصف الكتاب المقدس « سيرة النساء الطاهرة » (١بط ٣ : ٢) بأنها أول صفات الزوجة المثالية ، ولاعجب فإن أول عناصر شرف المرأة هو ثوب الطهارة الملائكى الأبيض الذى تلمع فيه فى كل ناحية من نواحى الحياة بلمعان جميل ، فأفكارها طاهرة تنبعث منها التصرفات الحلوة ، ومشاعرها نقية كأشعة النور ، وأحاديثها كالبلسم الشافى لجراح القلوب !!

هذا يجعل الحياة حلوة عطرية الشذى ، ويكسبها نعمة الاستقرار ويبعد عنها المخاوف ويملؤها بالمرح والسرور ، وهنا تبرز مسئولية الرجل ، فمن أقدس واجباته أن يسر امرأته (تث ٢٤ : ٥) فيخلق لها جواً كاملا من السرور . ويكشف لنا هذا القانون عن سر التجاذب المشترك بين العروسين والذى قد تكون فترته قصيرة هى ما يسمونه « شهر العسل » ، ولكن الله يريد أن تطول مدته ويستمر فرح الرجل بزوجته ، وهذا يظهر فى تخاطبه معها بجواب لين يصرف الغضب ، كما يخاطبها بلغة الاعزاز ، ويسر لها بتعبيرات المحبة ، وهذه تفعل فعل السحر إذ تؤدى على مر السنين إلى التوافق المتزايد والانسجام المتصل والآداب الرفيعة !!

وبهذا يستريح كل من الزوجين إلى تصرفات الآخر ، وبدون مراعاة هذا الأمر يخفق الزواج ويضحى مهمة شاقة يكون الزوجان ضحيتها ، إذ تزداد الحياة صخبا بينهما ، وتضحى نكداً يلفها الحزن والكآبة ، وقد يصل الأمر إلى الطلاق الأمر الذى ما كان ليحدث لولا مخالفة دستور كلمة الله فى شأن آداب الزواج المقدس ، الذى أوصى الرجل قائلا : « إلتذ عيشا مع المرأة التى أحببتها » (جا ٩ : ٩) ، وهذا لايتم إلا إذا استقى الزوجان مياه الفرح من ينابيع الخلاص .

. . .

وقد دعمت المسيحية هنا — فى أثر اليهودية — الآداب الإنسانية للمجتمع

بإعلائها تقديس الجنس ليس فقط بإدانة الرجل والمرأة اللذين يكسران عهد الزوجية المقدس ، بل وبتحريم كل انحراف جنسى لإعادة الرابطة الجنسية إلى أصلها بطهارتها الأولى التى وجدت عليها ونظمت بها ، فأدانت اشتعال الذكور بالأمور الجنسية ، الأمر الذى كان طقسا دينيا فى عبادة البعليم آلهة الخصب ، كما اعترضت على الطقوس الوثنية التى استخدمت الإناث فى هياكل الاوثان لجذب الناس إلى معابدها عن طريق الفسق والدعارة . ولم تقبل المسيحية هذا العبث ، بل رفضت رفضاً باتا أن تفصل ما بين الجنس وكرامة المجتمع البشرى بعدم مراعاة مسئوليات الحياة الاجتماعية الواجبة الالتزام ! ! وهذا هو مايميز الانسانية فيمنع انحطاطها وانهيار المجتمع البشرى بأسره ، وبذلك ردت المسيحية للمرأة حقها المهضوم ، فلم يعد من حق أحد أن يهين كرامتها أو يهدر مركزها أو ينتقص من إنسانيتها ، ولولا ذلك لهبطت قيمة الجنس وتحطم أساس الآداب الرفيعة السامية !!

ثالثاً : هى مدرسة تهذيب للبشرية :

لم تخلق المرأة بطبيعتها لمنافسة الرجل بل لتكون مكملة له ، ولو كانت مهمتها كمهمته لكان العالم فراغا يدعو للسأم ، فالزواج بداية التهذيب إذ هو يجعل القاسى لطيفا ومحب العزلة أنيسا والفظ رقيقا والمتطرف متزنا ، وهو بهذا سلم الارتقاء فى معارج الكمال الأدبى ، لأنها هى التى تهذب المثل الأعلى للانسان بالتربية القويمة ، وتنميه بالخبرة الواسعة ، وتصقله بالتجارب الكثيرة . فالمرأة الصالحة هى الصدر الذى يحن إذا جمدت كل الصدور ، والعين التى تجود متى جفت كل العيون ، والقلب الذى يحب متى كرهت كل القلوب ، كل هذا لأنها مخلوق عاطفى أكثر من الرجل الذى يميل عنها إلى العقل ، وهذا هو السبب فيما نراه بينهما من اختلاف لامفر منه ، وهو يتطلب صبراً وضبط نفس ، لأن الرجل يميل إلى المنطق والمعقول بينما تسير المرأة فى طريق المشاعر والدموع ، فيحاول الرجل معاملة زوجته وكأنها رجل آخر فيحاججها منطقياً إلى أن تبكى ولكن لايصل معها إلى نتيجة ما ، بينما لو أتاها من الجانب العاطفى لربحها بكلمة لطف واحدة ، والمرأة أيضاً تقـــدم لزوجها مطالبها وتغضب لأنه لايفهمها دون أن تقنعه بعدالة مطالبها ولو بحجة واحدة معقولة .

ولذا نجد فى عهد الزواج الطاهر واجبات متبادلة ومهمة ، منها إعتبار الرجل للمرأة ، واعتبار المرأة للرجل ، وإحتمال كل منهما الآخر ، ولما يراه فيه من نقائص مع الإجتهاد لإصلاحها . ومنها التنشيط والتعزية عند وقوع المصائب ومنها الخدمة والمعاونة بكافة الوسائل لأجل خلاص نفسه الخالدة ، ولأجل النمو فى الفضائل والبنيان الروحى ، وبهذا تخف هموم هذه الحياة لان كلا من الزوجين يعين الآخر على حمل أثقالها ، كما يشاطره بهجة أفراحها ، حتى قيل بالصواب : « أن الزواج يضاعف الأفراح وينصف الأحزان . » وبذلك يتعاون الزوجان على تكييف الحياة معاً والتغلب على صعابها !!

ومن هنا نرى أننا مدينون للمرأة بحياتنا كلها ، فإننا مدينون لها بمسرات الحياة لأنها هى مصدرها وينبوعها الذى تتدفق منه . أما أحزانها فالمرأة أيضاً هى التى تتولى تحويلها إلى مسرات أو ترويحها عن نفوس أصحابها على الأقل !! وهى بذلك تساعد على تكميل المثل الأعلى فى نفس الإنسان ، فلا يقف عند منزلة بعينها بل يطلب ما فوقها ، وهيهات أن تقف مثله العليا عند حد ، وهذا هو سر النبوغ والعبقرية فى العالم !!

فالمرأة الحلوة الجذابة هى التى تجمع إلى جانب حلاوة الشكل طلاوة الحديث وإشراق الذكاء وحضور البديهة . وبينما قد لا يقوم حب الرجل على غير عواطف الإعجاب والإحترام ، نجد حب المرأة على العكس من هذا يقوم على التضحية وإنكار الذات والإعجاب المقرون بالإجلال والإحترام . وهذه كلها ترتكز على العقل ، وهى لهذا تبذل نفسها فى سبيل رجلها على قدر ما تمكنه له من إعجاب واحترام . فإذا ما وقفت بجانب رجل مزدرى من الجميع فلأنها تعتقد فى قرارة نفسها إنه لا يستحق كل هذا الازدراء ، وإن الناس يريدون النيل من سمعته ظلما وعدوانا ، فتنبرى للدفاع عنه متحدية فى ذلك كل ما يقع عليه من ظلم وجور بسبب التعصب والجهل .

فمتى قبلت المرأة أن تكون لزوجها أمه أصبح هو أيضاً لها عبداً ، فانها لا تعمل

إلا له ولا تفتخر إلا بتدبير بيتها فيقال عنها بحق : « إنها نصف الرجل الأفضل » فالزواج إذن ليس مجرد جاذبية جنسية ولذة حسية ، بل هو مشاركة بين أثنين فى كل نواحى الحياة ، وبهذا تعمل الغريزة على بناء هذه الصفات : الأمانة ، الاحتمال ، طول الأناة وأمثالها ، وبدونها لا يضمن ثبوت العلاقات البشرية ، وهذه الصفات لا يمكن تكوينها بغير الكثير من التدريب والصبر .

مثل هذا الزواج أخذ وعطاء فليس من العدل أن ينفرد أحد الطرفين بشىء من دون الطرف الآخر ، فلا يستطيع زوجان أن يعيشا معاً عيشة سعيدة ما لم يكونا على استعداد لأن يحسنا التصرف ويتعاونا ويتسامحا فان المرأة لا تسلم قلبها إلا للرجل الذى يسيطر عليها لا بالعسف والاستبداد بل بشخصيته ومحبته ، وكذلك ليس هناك ما يشجع الرجل على ممارسة الفضائل مثل أن تكون له أمرأة تقف منه موقف الشاهد والحكم وتكون له بمثابة الضمير الثانى الذى يحمل له رسالة الله عندما ينام ضميره أو يغفو .. وكم فعل هذا الضمير فى تاريخ البشرية !! ولذا قيل : « إن الرجال من صنع النساء » فوراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة » !! فالمرأة هى التى تشعر الرجل بمسئوليته الخطيرة كأب من ناحية وكزوج يحمل أعمق الاحترام لزوجته من الناحية الأخرى !! وبذلك تظهر غريزة الجنس كوسيلة لتهذيب المشاعر بين الجنسين : ففى الرجل تعتدل القوة ويصحبها لطف وتتمشى البصيرة مع العقل ويتطهر الطموح من المصلحة الذاتية ، والتدريب عكس ذلك فى المرأة وبذلك يتم التوازن والتكامل بينهما ولذلك نشأ الصراع النفسى الذى يختبره شريكا الحياة لفترة من الزمن قد تطول وقد يختلف فى اثناءها أحد الشريكين مع الآخر وهذا يفسر لنا لماذا تتألم بعض الزوجات البريئات المخلصات من معاملة أزواجهن القاسية وقد يحدث العكس فيتألم الأزواج الأمناء الودعاء من معاملة زوجاتهن الرهيبة وكل ذلك فى سبيل تقويم الأعواج وإصلاح الفساد فى الشريك الشاذ ولا شك أن هذا هو أساس التهذيب الصحيح الذى تقوم به المرأة للبشرية بأسرها !!

الفصل الثالث

مقام المرأة فى الحياة البشرية

« إن المرأة لابد أن تتساوى بالرجل ، ولا بد أن تسقط عنها بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة ، حتى تستطيع أن تشارك مشاركة ايجابية وفعاله فى صنع الحياة . »

لقد خلقت المرأة لتشعرنا بمعنى الحياة ، فهى مثال الرقة ونموذج الكمال . إنها ملاك بشرى ، ولهذا فقد استحقت الحرية والكرامة ، واحتلت جانبا مجيداً من التاريخ القديم ، وقد سرد لنا الكتاب المقدس المظاهر التقدمية ومشاعل الحكمة والقيادة التى رفعتها المرأة ، فرفعت بذلك رأس العالم بأسره .

فوجود المرأة قد كشف لنا — على وجه خاص — أن الحياة فن رفيع يقوم على تقديس الأشياء العادية كهبة الجنس مثلا ، واعتبارها تبعاً لأفراح الحياة الحقيقية بجراه هو التوافق التام فى أعماق الكيان بين الزوجين ، وهذا يؤكده قول تنيسون : « إن مصلحة المرأة هى مصلحة الرجل أيضا ، فهما يرتفعان معا أو يهبطان معا ، فهو ينظر إليها باعتبار أن لها شعورا كشعوره ، وعواطفا كعواطفه ، وهى تنظر إليه باعتباره مسئولا عن حمايتها ورعايتها وتربيـــة أبناءهما على أفضل منوال » .

ومن ذلك يتبين لنا مقام المرأة فى الحياة البشرية ، الذى يلمع فى ثلاثة نواحى : —

أولا : تقديس الجنس :

وهذا يتمثل منذ بدء التاريخ فى ايجاد حواء أول امرأة يتمثل فيها كل ما يمكن وجوده فى النساء ، فقد وقفت فى الفردوس بهية فى أتم جمال يشهد لطبيعة المرأة . كانت كاملة نتيجة الخلق الالهى ، ولذا فليس للمرأة أن تتذمر لأنها لم تأت رجلا لأنها كالرجل تماما كلاهما خلقه الله وصنعه بيديه ، والله الخالق هو الذى قرر أن يجعل حواء امرأة كما قرر جعل آدم رجلا ، ومع أن آدم خلق أولا ، وبهذا صار رأسها باعتباره الأصل الذى منه خرجت ، ولكن آدم هذا لا يستطيع أن يستمر بدونها لا لأنها هى معينته فحسب ، بل لأن الحياة البشرية لم تكن لتوجد وتمتد بغير حوآء .

وقد قدس الله الجنس بخلقه حواء واحدة لكى يمنع تعدد الزوجات فى وقت كانت الحاجة ماسة إلى أكثر من امرأة لإكثار النوع على الأرض ، وأيضاً لكى يمنع الطلاق لأنه لم تكن لآدم امرأة أخرى يطلق من أجلها زوجته ويستغنى بها عنها ، فلو كان الله يريد له أن يطلق ، لكان قد خلق له أكثر من واحدة حتى يمكنه أن يطلق زوجته متى شاء .

. . .

ومما يدل على تقديس الجنس تأكيد مبدأ المسئولية الشخصية على كل من الرجل والمرأة على حد سواء : فلما أراد كل من آدم وحواء أن يلقى المسئولية على سواه لم يقبل الله ذلك منهما ، بل أعطى كل منها نصيبه من القصاص ، ومن هذا نفهم أن الادعاء بأن الزوج يحمل مسئولية زوجته أو الزوجة مسئولية زوجها ، إدعاء باطل من أساسه ، وكل ما فى الأمر أنه يجوز لكل منهما أن يوجه النصح والارشاد للآخر بشرط ألا يكون هذا مؤدياً إلى معصية الخالق ، لأنه هنا ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس ، (أع ٥ : ٢٩) وقد ورد فى حيثيات الحكم على آدم قول الله له : « لأنك سمعت لقول امرأتك ، (تك ٣ : ١٧) ، فقد سمع لها وخالف الوصية الالهية ، مع أنه كان واجبا عليه ألا يسمع لها فى هذه الحالة ، وفى موضع آخر نجده تعالى

يقول لابرهيم فى شأن طرد هاجر وإبنها : « فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها » (تك ٢١ : ١٢) ، مما يبين صحة قبول الزوج لرأى زوجته إن كان متمشيا مع مشيئة الله !!

فلما نزلت شريعة موسى أكدت كرامة المرأة وصانت مكانتها فقد جاء فى الوصايا العشر بشأنها وصيتان كانتا من الروعة والخطورة بمكان إذ كانتا أمراً ناهياً وهى الوصية السادسة التى حرمت الزنا وهو الفعل المادى والوصية العاشرة التى حرمت مجرد الإشتهاء وهو الشعور النفسى والفكرى الأثم (خر ٢٠ : ١٤ و ١٧) ومعنى ذلك أن هاتين الوصيتين قد حصرتا الرابطة الجنسية فى دائرة محدودة وهى علاقة الزواج فقط بين رجل واحد وامرأة واحدة !! وبظهور المسيح قد اكتملت هذه الشريعة من كل وجه فقد وضع القاعدة المثلى فى تقديس الجنس بقوله له المجد : « قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن . وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنا بها فى قلبه » وبعد أن يتحدث عن وجوب التخلص من العثرة نجده يقرر « إن كل من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزنى . ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى » (متى ٥ : ٢٧ ، ٣٢) .

ومع أن المسئولية مشتركة بين الأزواج والزوجات نحو تدعيم أو تحطيم عشهما المشترك ، إلا أن على كل منهما أن يحمل حمله فى النهاية بالنسبة للمصير الأبدى الذى سيختاره لنفسه لأن وصايا الله لايمكن عقلا وبداهة أن تكون قد وجهت إلى أحد الجنسين دون الآخر وإلا لقيل مثلا أنه ممنوع على الرجل أن يزنى أو يقتل أو يسرق أو يشتهى وهكذا إلى آخر الوصايا ، بينما يكون ذلك مباحاً للمرأة أو العكس ، وذلك لأن الخطيئة أمام الله واحدة وما هو ممنوع فهو واجب التحريم على جميع الأفراد ومن الجنسين وفى كل وقت وعصر وجيل ، ولذلك إتخذت جميع القوانين الوضعية هذه الوصايا أساساً لها باعتبارها قواعد عامة للمجتمع الراقى يقوم عليها التقدم والحضارة ، ولم تحد عنها أمة من الأمم بل أنها تفرضها على نفسها فرضاً لأنها رأت فيها صورة واضحة للفضيلة التى يجب أن يتحلى بها الفرد حتى يكون عضواً فى المجتمع

يخضع للقانون العام الذى يمثل النظام ويمنع الجريمة، سواء كان ذلك بدافع نفسى خاص أو رهبة من العقوبة !!

وفى شريعة النذور والعهود نرى الله لا يعفى صاحب النذور من نذره ، وهب أن فتاة فى بيت أبيها أو زوجة فى بيت زوجها تعجلت وذكرت عهداً أمام الرب دون تقدير أو مسئولية ، ففى اليوم الذى يسمع فيه الأب أو الزوج هذا العهد يمكنه أن يبطله أو يثبته ، فإن انتهرها ونهاها فى الحال بطل العهد ، وإلا فقد ثبت والتزم به ، وصار وصياً على إقامته وتنفيذه . فإن فسخ ما ألزمت به نفسها بعد سمعه فقد حمل ذنبها » (سفر العدد ٣٠ : ١٥) ومعنى هذا أن الرجل الذى كان فى العهد القديم وصياً على المرأة من جهة نذورها ليس من حقه أن يمنعها عما ألزمت نفسها به بعد أن أن يكون قد عرف بذلك وإلا أوقع نفسه تحت عقاب إلهى ، وأما العهد الجديد فيعلن أن للفتيات والشبان الذين لم يتزوجوا أن يهتموا فيما للرب كيف يرضونه (١ كو ٧ : ٣٢ و٣٤) ،وأما النساء فيخضعن لرجالهن كما يليق بالرب » (كو ٣:١٨) وهذا لأنه يقرر مبدأ التكليف الشخصى الذى بمقتضاه تظهر مسئولية الإنسان الأدبية فى كل من المرأة والرجل على السواء بقوله : « لأن كل واحد سيحمل حمل نفسه » (غل ٦ : ٥) وأيضاً « كل واحد منا سيعطى عن نفسه حساباً لله » (رو ١٤:١٢)، وهذا الكلام للذكور والإناث لأن المرأة تخاطب فى الرجل ، وقد أعلن الرسول كذلك أن : « الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل فى الرب » (١ كو ١١ : ١١) ، وواضح من الترجمات الأخرى أن المعنى المقصود هو أن الرجل لا ينبغى أن يستقل عن المرأة أو المرأة تستقل عن الرجل فى الرب أى أن أحدهما لا ينفرد بوجود مستقل متميز دون الآخر لكى يتحكم فيه زاعماً بأنه المسئول عنه، إذ لا فرق بين الرجل والمرأة حينما تصل المسألة إلى الرب الذى سيعطى كل منهما عن نفسه حساباً أمامه !!

هذا ويبرز مبدأ التكليف الشخصى ، أى مسئولية كل من الرجل والمرأة عن نفسه من حوادث كثيرة، منها مثلا ماسجله الوحى عن إنقاذ الله «لوط البار من حريق سدوم أما زوجته فصارت عمود ملح » (تك ١٩:٢٦) ، لأنها « نظرت من ورائه،

فى حين برأت زوجة بيلاطس نفسها حين وقف المسيح يحاكم أمام زوجها فأرسلت إليه تقول: «إياك وهذا البار» (متى ٢٧ : ١٩) فكانت فى طليعة الشهود الأول الذين شهدوا للمسيح وواجهت العاصفة دون أن تحنى الرأس، بل لقد تبعت المسيح فيما بعد وجاء وقت اخبرنا التاريخ انها افترقت فيه عن زوجها الذى نفاه قيصر ومات منتحراً بينما انضمت هى إلى صفوف القديسين فى روما، إلى ان ارتقت للمجد ضمن اعضاء الكنيسة المنتصرة . وكم من قديسات مثلها كان لهن ازواجهن بمثابة الحمل والشوكة والصليب ، ولكم جاهدن بدموع فى سبيل خلاصهم ، فما كن يرغبن الارتقاء إلى السماء بمفردهن دون أن تصحب الواحدة منهن زوجها ولكنهن لما يئسن رحلن عن هذا العالم حزينات كسيرات القلب يذكر لهن الله والعالم أنبل الجهاد وأروع الدموع!!

ومن أعجب المتناقضات التى يجـــدر الإشارة اليها هنا ان لا يعترف للمرأة بمسئولية شخصية تتحملها ويتهمها الرجل بأنهـــا سبب كل كارثة ويحملها وزر كل ما يحدث ، متخذاً هذا القول الشائع : « فتش عن المرأة » حجة له فى موقفه هذا منها وبذلك يعتبرها المسئولة الوحيدة أولا وأخيراً . .

اللهم كلا .. فمسكينة هى المرأة حقاً إذ يحاول الرجـــل فى أغلب الأحايين أن يجعلها كبش الفداء دون أن يعترف لها بأى حق ، بل ويتناسى واجباته من نحوها ثم يتنصل من نصيبه الكبير ملقيا كل التبعة عليها وحدها !!

ثانياً : تقديس الزواج :

يعلن الكتاب المقدس كرامة الزواج وقدسيته بالقول : « ليكن الزواج مكرما عند كل واحد والمضجع غير نجس» (عب ١٣ : ٤) مبيناً بذلك أن غرض الله من خلق الإنسان ذكراً وأنثى هو الزواج والتناسل ولذا كان الدافع الجنسى من أعظم الدوافع التى وضعها الله فى الإنسان ، لأننا به نشترك مع الله فى عملية « الخلق » ، وهى أخطر مهمة عهد بها الله للانسان .

ليس هناك من ينكر إذا أن الغرض الأول من خلق المرأة هو أن تكون زوجة

للرجل ، فهى قيثارته الشجية المبدعة التى علمته أعذب ألحان الحياة من شعر وفن وموسيقى وابتكار وغيرها ، بل هى التى أوجدت فيه العبقرية والنبوغ ، والحمية والنضال وحب الرفعة والانتصار ! !

إن ما تقدمه المرأة لزوجها يعجز القلم — مهما اقتدر — عن الإلمام بأثره . ولهذا قدس الله الزواج ورسم نظامه فى الفردوس قبل سقوط أبوينا الأولين فى الخطية إذ كانا فى حالة القداسة التامة وبحضور المسيح فى عرس قانا الجليل قد قدس العرس وبارك الزواج وهو لذلك يعتبر أهم حادث فى حياة الانسان على الأرض ، إذا استثنينا حادث التجديد الذى تبدأ به الحياة الأبدية فى نفس المؤمن ! !

والبحث الدقيق فى كتاب الله يكشف لنا أن الله تعالى عندما أسس الزواج ، وضع له دستورا يضمن نجاحه ، وليس هذا الدستور مجرد مبادىء أخلاقية ، بل هو ناموس ثابت مبارك ، له فاعليته فى العلاقات الزوجية مثل قانون الجاذبية فى العالم المادى . والزمن يكشف غباء كل من يحاول أن ينقض قوانين الله أيا كان نوعها ، لأن الأمر لا يستدعى أن يرسل الله ملاكا لتأديب كل من يكسر قانونه . لأن قوى التأديب دائما حاضرة وسريعة المفعول لأنها كامنة فى طبيعة الأشياء ، وهكذا يكون الأمر مع شريكى الزواج ، ان تعاونا على حفظ دستوره الالهى يتقويان ويستمر اتحادهما ، أما إن كسراه فانهما لن يحصدا إلا الفشل والنتائج المريرة فى حياتهما الزوجية .

لقد وضع الله فى الكيان البشرى مجموعة عصبية ومقدرة عاطفية تستجيب لمعاملات خاصة وأعمال معينة ، وتقاوم بثورة عنيفة ماهو عكس ذلك من التأثيرات المضادة . فالمعاملة الطيبة من شريك الحياة لشريكه الآخر تضمن النجاح الزوجى ! وأما عمل ما ينفر منه الشريك الآخر باصرار فانه يعنى تحطيم الزواج ! فالنتائج هى من صنع الزوجين معا سواء كانت خيرا أم شرا ! !

كذلك وضع سبحانه فى كتابه القوانين التى يعيش بها كلا الزوجين فى سعادة تامة ، فاذا اتبعاها استراح كل منهما إلى تصرفات الآخر ، وبدون هذا يخفق الزواج ويصبح مهمة ردئية وشاقة .

فمثلا يأمر الله الزوج بأن يؤسس للزوجة بيتاً جديداً ، ويعطر جوه برائحة المرح والسرور فيكفل بهذا لزوجته البهجة والهناء ، كما أنه يوصيه بأن يحفظ هذا البيت الجديد فى صفاء المتعة التى لا يعكرها معكر بتأسيسه على المحبة وإقامة دعائمه على أعمدة الفطنة والكرامة ... ويأمر الزوجة بالخضـــوع لزوجها وعدم الوقوف من شئونه الخاصة موقف الإملاء كدكتاتور ، بل أن تبادله المحبة وتندمج معه وتتحد اتحاداً وثيقاً فى الفكر والقصد الناتج عن المشاركة التامة فى كل نواحى الحياة .

وقد رسم الدستور الإلهى طريق السعادة الزوجية لـــكل من الرجل والمرأة ، فأعلم الرجل :

١ — أن المرأة هى شريكة حياته فيقاسمها مسراته ولا يخفى عنها آلامه .

٢ — وهى إنسان نظيره فلا يتكبر عليها أو يستصغر شأنها ويهمل أمرها .

٣ — وعليه أن يطلب استشارتها ورأيها فيما يحيره من أمور ، فقد يجد عندها رأياً صائباً يريح فكره ، وهذا يتطلب من الرجل مرونة وقبولا للاقتناع بالحجة السليمة.

٤ — وأن يحترمها فى بيتها وخارجه ولا يجرح إحساسها ولا يهين شعورها أو يقلل من كرامتها .

٥ — وألا يشد معها طرف الحبل إذا حدث سوء تفاهم بل يفهمها الخطأ بطريق اللين والمحبة ، وبدون أن يشعر أحداً به .

٦ — وأن يتخذها صديقة له يفكر معها ويأنس بقربها ، ومعنى هذا أن يكون لطيف المعشر ويترك لزوجته أن تتصرف بكل حرية .

٧ — وأن يبادر إلى حمايتها ويضحى من أجلها لأنه مسئول عن سلامتها وبهذا يثبت صدق حبه لها وسعة إدراكه للحياة فلا يكون متطرفاً ولا متزمتاً .

كما أنه أعلم المرأة :

١ ــ أن الرجل هو رأسها وعليها أن تطيعه وتحترمه وإلا انهارت سعادتهما .

٢ ــ أن تحترم رأيه وإرادته وأن تتفاهم معه بالحسنى دون أن ترفع صوتها .

٣ ــ أن تشعره دائماً بأنه أقوى منها وأن تطلب حمايته ومشورته ونصحه .

٤ ــ أن تهتم به وتعمل على إسعاده ولا تجرح إحساسه ولا تهين شعوره فى شخصه أو عمله أو أهله .

٥ ــ أن تكون متسامحة معه ولا تتدخل فى شئونه الخاصة إلا بقدر ، وألا تلح عليه فى أن يعرفها ما يريد أن يحتفظ به لنفسه من أسرار .

٦ ــ ألا تتعدى على حقوقه الشخصية ، فتأتى أمراً يجعل الغيرة والشك يتطرقان إلى قلبه .

٧ ــ أن تعلم أن زوجها هو الأقرب لها فتجعله موطن سرها وتحبه وتضحى من أجله .

وبهذا كله لا يكون عقد الزواج وثيقة رق بمقتضاها تباع المرأة للرجل ، بل وثيقة احترام متبادل وسعادة مشتركة ، وعندئذ يكون الزواج وثيقة وحقيقة لا مجرد وثيقة فقط ، لأن الوثيقة لا تنفع شيئاً ، ما لم يتم الاتحاد والتعاون والتضافر ، وإلا فما من وثيقة فى الدنيا تنفع الزوجين ، بل ما من حقيقة تبقى لهما !!

وبقينا أن وثيقة الزواج تتحول إلى حقيقة عند المسيحيين بالحق لأنهم يرون أن محبتهم هى أمانة مقدسة من الله وإليه ترجع . ولهذه المحبة آثار كبرى على الناحية العملية من الحياة الزوجية . فعند تصادم إرادة كل من الزوجين يحاول أحد الشريكين أن يفرض إرادته على الآخر ، فيتسبب عن ذلك الحقد والنفور فى الشريك الآخر ولو داخلياً ، وحين يحدث اختلاف جديد يكرر الشريك المنتصر المأساة ، وينتج

عن تتابع الأزمات – مهما كانت بسيطة فى حد ذاتها – تدمير للعلاقة الزوجية بحدوث انفجار يحطمها غالبا . . ولكن قد يحدث بعد سلسلة من المحاولات لكل منهما لفرض إرادته على الآخر أن يتفقا على أن يختلفا وهذا إما ينتج عنه احتمال متبادل أو عداوة ظاهرة ، أما المثل الأعلى فى التصرف فهو فى الرجوع إلى سلطة عليا يكون الشريكان مستعدين للخضوع لها . وهذه السلطة تتمثل فى شخص المسيح الصديق المحب والعطوف الحار وهو الذى يمكن للطرفين أن يثقا فيه تماما . ولذلك يجب أن تراجع الاختلافات بين الارادتين فى محضره باعتبارها مجرد وجهات نظر فقط قد يكون الحق فيها مع هذا الشريك أو مع الشريك الآخر أو ليس مع كليهما ، وللوقوف على ارادة سيدهما المبارك وهى التى يجب أن تترجم إلى لغة الحياة ، ومرور السنين ينمى الزوجين فى فكر مشترك هو فكر المسيح : هنا سر الزواج المسيحى الذى يربط الزوجين معا إلى النهاية بذكريات مشتركة من الآلام والاحلام تصل بهما إلى قمة السعادة الممكنة على الأرض !!

. . .

هذه هى النتيجة الطبيعية لذلك الكمال فى الزواج الذى أعلنته الديانة المسيحية ، فليس للمرأة فى غيرها هذه المكانة ، كما أنه ليس للزواج فى غيرها ماله فيها من قدسية ، لأن سيف الطلاق مسلط ليقطع رباط الزوجيـــة فى أى وقت من الأوقات ، ويجعل الزوجة مهددة بالنفى والطرد فى كل ساعة من ساعات حياتها ، وهى لذلك ترهب زوجها وتخضع له عنوة وتسعى لإرضاء شهوته ، وكأنها عبد ليس إلا ، وقد وصف أحدهم مثل هذا الزواج بقوله : « انه ضرب من العبودية لأن الزوجة تصبح بمقتضاه أمة لبعلها عليها أن تطيعه طاعة عمياء » .

وشتان بين زواج كهذا وبين الزواج المسيحى الذى لايحق لمن لا يقدره حق قدره أن يعتبر نفسه مسيحيا .

ولما كان من المعقول أن الله لايكلف نفسا فوق طاقتها ، لهذا فقد اشترط لبقاء

الشريك غير المؤمن مع الشريك المؤمن قيام الرضا بين الطرفين ، مع وجوب تأكيد جواز المفارقة بينهما دون أن يعنى هذا فسخ عقد الزواج ، لأن الله قد دعانا للسلام لا لنعيش فى ظروف مكدرة ، ونحيا حياة خالية من الرضا فى الحياة الزوجية مما يجعل هذه الحياة جحيما لا يطاق ، وقد أعلن الوحى عن ذلك بقوله : « أما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها ، ولا يترك الرجل امرأته » . (اكو ٧ : ١٠ و ١١) وهذه هى مشورة الله الصالحة التى تجعل الزواج وسيلة لا غاية ، فهو السبيل إلى التعمير والبناء لكل زوجين يريدان أن يشقا لنفسيهما طريق المجد للجوزاء !!

ثالثاً : تقديس الأمومة :

كانت رسالة الأمومة هى رسالة حواء الثانية السامية . والرفيعة ، والتى بلغت مستوى رسالتها الأولى . لقد خلقها الله لتكون أما ، ويملأ الأرض بأبنائها وبناتها ، وقد ولدت قايين وهابيل وشيثا وأبناء وبنات كثيرين ، ولكنها خلفت فيهم غريزة من أسمى وأقوى الغرائز البشرية هى « غريزة الوالدية » ، ولعل حواء وهى تطلق على بنيها الثلاثة أسماءهم ، قد كشفت فى نفس الوقت عن العناصر الثلاثة الأصلية لهذه الغريزة المضطرمة فى أحشائها وبين حناياها ، فى قايين نرى الأمومة فى ولعها وشوقها ، وفى هابيل نراها بحزنها وألمها ، أما فى شيث فنراها فى انتظارها ورجائها !! فالاسم الأول يدل على أول ماتحس به الأمومة إزاء أبنائها ، كما يشير الاسم الثانى إلى الأمومة الحرينة ، بينما يشير الاسم الثالث إلى رجاء الأمومة المتطلعة لمجد أبنائها وترجو منهم الحب !!

لهذا فلا عجب مما قيل بأن أجمل منظر من مناظر هذا الوجود هو منظر الأم النقيه الطاهرة وهى تحمل وتحتضن أول أطفالها للمرة الأولى ، إن قبلتهـــا مدرسته وروضته ، والطفل يحيا وينحرك ويوجد فى محبتها ، إنها فى النهار ترقبه وفى الليل تحلم به ، إنه الفكر الأول والأخير لديها ، وهى تغذيه وتداعبه وتناجيه متحدثة إليه بآلاف الأشياء التى يبدو أنه يفهمها عندما يشب عن الطوق !!

وقد عينت الدول عيداً للأم ، لأن تمجيد الأمهات واجب أدركته الأمم الراقية فقررت الالتزام به إقراراً منها بحكمة الله التى زودت المرأة بكل أسباب البقاء والاستمرار لكى تكون قاعدة لانطلاق الحياة فجعلتها قادرة على الصبر والاحتمال من أجل أن تستمر الحياة . فهى — على وجه خاص — تواجه الموت وهى تضع أبناءها ولا يكون بينها وبين الموت عندئذ إلا خيط رفيع ، ولذا فقد استحقت كل تحية وتقدير ، فهى تقابل الموت — وأحياناً تجوزه — فى سبيل بقاء الحياة وامتدادها ، وهذا يحمل فى معناه مبدأ الفدية الذى يقوم على التضحية وإنكار النفس فى سبيل الغير ، الأمر الذى نراه بأجلى بيان فيمن تسمى « نسل المرأة » لأنه قبل موت الصليب نيابة عن البشرية بأسرها لكى يهبها الحياة الأبدية !! ومن ثم فقد اعتبر غيرنا ممن لا يقرون مبدأ الكفارة أن كل مرة تلد فيها امرأة تحصل على تكفير بذلك !!

. . .

ولدى البعض رأى من بقايا التقاليد اليهودية يعتبر المرأة نجسة فى فترة الدورة الشهرية ، بل أن هناك من يقول بوجوب امتناعها فى هذه الفترة عن دخول الكنيسة ، وأنه لا يجوز لها أن تتقدم للتناول من العشاء الربانى ، وهذا كله من آثار الناموس الطقسى الذى كان يعتبر الطمث ودم الولادة — وهما من ضعفات السقوط البشرى مما لا يمكن تجنبه إذ هو مرتبط بوجودنا الحالى فى الجسد — مثل خطايا السهو والجهل تتطلب تكفيراً عنها ، ولذلك اعتبرت الأمومة خطية ووضعت بجانب الطوب والمونة اللذين يبنى بهما البيت الذى يجب أن يكفر عنه (لا ١٤ : ٥٣) ، فهذه كلها كانت تنجس مهما كان عذرها لأن الخطية إذ دخلت قد جعلت كل ماهو من الجسد نجساً ، وهو مظهر من مظاهر الوجود المحتوم لما هو مخجل ، لأنه يعلن عن الطبيعة الساقطة التى هى مستودع نجاسة ، فهى نجسة ومنجسة فى سائر أوضاعها ، ومجرد لمسها ينقل النجاسة ، وهذا هو الدرس الأول المذل لكبرياء الإنسان والذى أقره النبى داود بقوله : « هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » (مز٥١ : ٥) فهذه النجاسة دليل مبدأى على السقوط البشرى بفعل الخطيئة الوراثية .

ولكن العهد الجديد قد ركن جانباً كل هذه الترتيبات الطقسية الرمزية ، ونقل شريعة الناموس الأدبى الكامل إلى القلب ، حيث كتبها ، وهنا يكمل الله المحبة التى هى تكميل الناموس أى إتمامه بأكثر من حرفيته أى بمعانى وصاياه الروحية .

وبإزاء التطهير الذى أعلنه هذا العهد المبارك ، بدم ابن الله الوحيد ، المسفوك لأجلنا قد تقدست الأمومة كغيرها ، فهى والطفولة والرجولة على حد سواء ، الكل قد تقدس بالدم الكريم ، ولهذا فقد أعلن الرسول : «بأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة ، والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل ، وإلا فإن أولادكم جميعهم نجسون وأما الآن فهم مقدسون » . (١ كو ٧ : ١٤) ، كما أننا نجده يقرر هذا المبدأ الجليل القائل : « إنى عالم ومتيقن فى الرب يسوع أن ليس شىء نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس .. كل الأشياء طاهرة » (رو ١٤ : ١٤ ، ٢٠) ، ويؤكد ذلك بقوله : « كل شىء طاهر للطاهرين ، وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شىء طاهراً بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم » . (تى ١ : ١٥) ولذلك سمع الرسول بطرس صوتاً من السماء يقول له . « ما طهره الله لا تنجسه أنت » (أع ١٠ : ١٥)

هذه الطهارة قد نبعت من مصدرها الوحيد والأصلى الرب يسوع المسيح ، الذى مع أن السماء ليست بطاهرة أمامه ، سمح لسيدة مصابة بالنزيف الدموى بأن تلمسه وتنال منه الشفاء ، مع أن الناموس الطقسى كان يحرم ذلك تحريماً قاطعاً ، ويرى المرأة النازفة امرأة نجسة ، وبذلك أثبت المسيح لنا أن أصل النجاسة هو فى الكيان الأدبى للانسان لا الجسمى ، وإنما قصد الله قديماً أن يشعر الإنسان بالنجاسة الخارجية لكى يقوده إلى معرفة أصلها الداخلى الذى لا يتصل من قريب أو بعيد بخروج الدم من جسم الإنسان ، وفضلا عن أن الله هو الذى خلق أجسادنا وخلق وظائفها الحيوية ، وحينما خلقها رأى أن كل شىء حسن جداً ، فإننا نعلم من سر التجسد الإلهى أن أهم الاعتراضات الإسلامية عليه هو : « كيف يحل الله القدوس فى بطن امرأة ووسط الدم ونجاسة الحمل والولادة ؟ ، وقد يبدو هذا الاعتراض وجيهاً لدى البسطاء الساذجين ، ولكنه قدم الفرصة الذهبية لخالد الذكر المتنيح القمص سرجيوس

فأجاب عنه بقوله : « إذا كان بطن امرأة ودمها وطمثها نجاسة فى نظر الله تعالى وأن الله أقدس من أن يلمسه أو يحل فيه ، فكيف تصدقون وتقبلون وتؤمنون بأن الله هو الذى خلق المرأة بهذا التركيب النجس القذر الذى تتأففون منه ! ؟ وإذا كان لا يليق بقداسة الله أن يحل فى بطن امرأة وسط دمها فكيف لاق به تعالى أن يمسك بيده القدسية تراباً وصلصالا صور منه آدم ، ثم أخذ من آدم ضلعاً صور منه حواء؟

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان من الطين دون أن يحط هذا من قدره أو يدنسه تعالى ، فكم بالحرى بعد أن سواه وجعله تاجاً للمخلوقات ، كيف يأنف من الحلول فيه !؟ إذ لا فرق بين أن يحمل — عز وجل — الطين بين يديه ، وبين أن يحل فيه بعد تسويته بشراً ، فكلا الأمرين لمس من الخالق للمخلوق !!

والحقيقة إذن أن الله تعالى لم يخلق شيئاً نجساً بذاته ، بل خلق كل شىء حسناً ، وذلك لأن الخالق طاهر وكل ما يخلقه لا بد أن يكون طاهراً ، فالدم ليس نجساً بل هو قوام الحياة الجسدية ، والله تعالى هو روح الحياة بأسرها . . . ولذا فلا وجه للغرابة فى حلوله فى بطن مريم العذراء دون أن يتحول عن كيانه أو يتغير عن هيئته، فأضحت بذلك الحلول المبارك العجيب أقدس نساء العالمين » اهـ

. . .

وكفى بهذه الحقيقة شاهداً ينطق بانتهاء النجاسة الطقسية وتقديس الأمومة جمعاء يشهد بذلك أيضاً دكتور براون مؤلف كتاب «الأسرة المثالية» بقوله : « حينما اختار الله مريم الفتاة الريفية واصطفاها لكى تكون حاضنة ومربية لإبنه الوحيد ، قصد أن يبين بذلك أن له تعالى رسالة خاصة فى حياة كل أم ، هذه الرسالة هى إعداد بيتها وأولادها بحسب القصد الإلهى المجيد فيتمجد الله فى الجميع، وعندئذ — إذا ماعرفت الأم رسالتها — فإنها ستقدم لنـــا أنجب الأطفال وأكمل الرجال ، بل انها يومئذ ستضفى على كل شىء طابع المجد والعظمة والخلود !!

الفصل الرابع

سمو المرأة فى الحياة الروحية

« ان مسيحيتنا روحانية مشتركة بين الرجال والنساء على السـواء ، لأن الشخصية البشرية فى كليهما يجب أن تتدرب باستمرار للحصول على الحياة الباقية والاستعداد لها » .

(اكليمنضس السكندرى)

نعم لقد طرد الله الإنسان من جنة عدن، ولكن قبل أن تندب حواء حظها العاثر، وتنطق بمرثاتها الحزينة لسبب هذا الطرد ، بل وقبل أن يتمزق قلبها أمام منظر ابنها المقتول بيد أخيه ، أعطاها الله هذا الوعد الثمين : « نسل المرأة يسحق رأس الحية » (تك ٣ : ١٥) ، ويقينا لم يكن بمقدورها أن تحتمل هذه المأساة التى ابتدأت حلقاتها بالسقوط ، لولم ينم الرجاء فى قلبها ويترعرع بواسطة وعد الله المبارك — الرجاء بأنها هى المرأة التى كانت حواء للرجل وفى الوقت المعين ستصبح مريم التى تعطيه مخلصا هو النسل الموعود الذى يسحق رأس الحية !!

وقف هذا الوعد الأول بمجىء فادى الورى كمنارة للبشرية تنير لها طريقها ، وكان نورها يزداد لمعانا فى تكرار الوعد لسام ثم لابراهيم ، ثم فى نبوة يعقوب ، ثم خلال الرموز الطقسية ومواعيد الأنبياء التى ظلت تتتابع إلى أن جاء ملء الزمان وولد « مخلص العالم » فى بيت لحم اليهودية !! جاء مولودا من امرأة وكان ذلك بمثابة إعادة التاج ليعلو رأس المرأة ويزيدها جلالا من بعدما أسقطته الخطية عنها ، فهذا التتويج

الجديد المجيد قد بارك الأنوثة بركة حقة لأن المرأة بافساحها المجال لمعجزة التجسد — الأمر الذى أصبح اسمى امتيازاتها فيما بعد — قد كرمت جنسها تكريما فائقا وشرفته بأسمى درجات الشرف باعتبار هذا التجسد من أسمى هبات الله ! !

ومن ذاك الحين أصبحت مهمة المرأة الأساسية هى إصلاح الغلطة الأولى التى وقعت فى عدن وبميلاد المسيح منها نجدها قد أعطته مكانا فى قلب العالم بأسره . ومن لحظة مولده لم تعد المرأة تحمل لقب الجيلة أوالرقيقة فقط بل « المطوبة » أيضاً وهكذا نجدها على أساس هذا الامتياز السامى والشهرة النبيلة تنتسب إلى يسوع بطريقة لايشاركها فيها الرجل ، فان مريم التى حظيت بسر الامومة المقدسة قد جعلت من المستحيل أن يكون هناك شىء على الارض ينعطف ليسوع مثل قلب المرأة المسيحية الحقة . هنا المحبة التى تعطى وتتألم ، وهذه هى طبيعة المرأة ، فاننا قد عرفنا مثل هذه المحبة ورأيناها فى تحمل معمودية الألم ، وشتى الاحزان المحجوزة لجنسها ، فتنسى نفسها وتجد الفرح فى التضحية . ثم ألا يؤكد هذا لنا أن قلب المرأة أكثر قابلية للتقوى ومفتوح أكثر لقبول ذاك الذى غلب بالألم وجعل صليبه القوة الجاذبة الرئيسية لإنجيله ! ؟

وهكذا قد كرمت الامومة بذاك « الذى ولد من امرأة » ، وكنتيجة لذلك نرى كيف أن المسيحية رفعت المرأة وكرمتها وصنعت لها « عظائم » جاعلة من المرأة التى ولدت المسيح « أفضل النساء » بل امرأة حقا قوية فى لطفها ، ورفيعة القدر فى اتضاعها ، ومتوجة مكللة بتسليم نفسها ! !

وقد فعلت المسيحية هذا من وجوه عدة دفعت المجتمع إلى مساواة المرأة بالرجل فى كل ميادين الحياة ، ولذلك فبالرغم من تزمت البعض ، ورفضهم الاعتراف للمرأة بأية خدمة فى الكنيسة ، وهم فى ذلك يتمسكون بغير إنصاف بناحية من الموضوع ويتجاهلون باقى أقوال كلمة الله عنه ، بالرغم من هذا لم تقر الكنيسة التخلف فى هذا المضمار ورأت أنه لايليق باعلانات الكتاب المقدس التى أقرت حقوق المرأة ، وقد بلغت النصوص الكتابية الخاصة بها الذروة فى هذا الشأن فى العهد الجديد ، فأعلنت :

أولا : مبدأة مساواة المرأة بالرجل :

لاشك أن الإنجيل هو أعظم القوى المحررة فى العالم ، وهو يرعد ضد كل خطأ ، ويقوم بتحطيم كل قلاع الظلم ، فهو وحده الذى يرفع من العبودية إلى الحرية ، وبذلك نجده قد محا كل الفوارق سواء كانت عنصرية أوجنسية أوطبقية . فمن هذه الناحية أعلن تعليم المسيح مكان المرأة الصحيح ، فساوى بينها وبين الرجل ، الأمر الذى أيده بولس الرسول فيما بعد بقوله : « لأنكم جميعا أبناء الله . . . ليس يهودى ولا يونانى . ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر و أنثى لأنكم جميعا واحد فى المسيح يسوع » (غل ٣ : ٢٦ و ٢٨) .

وقد تجلت هذه المساواة فى الإيمان فى سائر الامتيازات الروحية التى أعلنها العهد الجديد — وعلى رأسها هبة الروح القدس — فقد وهبت للرجال والنساء بلا فرق ، وتم وعد يوئيل يوم الخمسين بانسكاب الروح القدس على البنين والبنات. والعبيد والاماء » (اع ٢ : ١٧ و ١٨) ، وذلك يعلن المساواة الكاملة بين الجنسين فى هذا الشأن . فمعمودية الروح القدس وسكناه هما لكل فرد ، للرجل والمرأة على السواء ، ولقد كان المجتمعون فى العلية مائة وعشرين من الرجال والنساء ومنهن مريم أم يسوع (اع ١ : ١٤) ، وهذا يعطى للمرأة فرصة استخدام الهبات الروحية المعطاة لها من روح الله !!

بهذه المساواة تمتاز المسيحية عن سائر الأديان الأخرى التى تعطى المرأة مكانا ثانويا ، وقد لا تعطيها مكانا بالمرة ، وبسبب هذه المساواة لم نر داعيا لإقامة حاجز مادى يفصل بين الجنسين فى الكنيسة ، بعد أن ارتفعت وتلاشت من بينهما كل الحواجز روحية كانت أم معنوية ، وقد أدرك هذا كاوجادا المصلح اليابانى المسيحى فشهد لهذه الحقيقة بقوله : « رفضنا أن نضع حاجزا ماديا بين الجنسين فى الكنيسة لأننا لم نر حدودا فاصلة فى عالم الروح الذى يسمو فوق كل الفوارق سواء كانت قومية أو عنصرية أو جنسية !! »

فاذا من دلائل الروحانية الصحيحة لاستكمال صورة الكنيسة الكتابية ،

مساواة المرأة بالرجل فى دائرة الاختبار المسيحى بكل ما يتضمنه ذلك من مشاركة فعلية واقعية !!

يبدو من ذلك أن اعلان المساواة بين الجنسين فى الكنائس التى أخذت به لم يكن تقليدا للمجتمعات المتحضرة ، بل جاء نتيجة اقتناع تام بعد بحث ودراسة فى أحكام الكتاب المقدس الخاصة بهذا الشأن . وكان ذلك معمولا به فى الكنيسة الأولى التى نشأت فى الشرق ، فالسامرية والمجدلية لم تكونا غريبتين بل من صميم الشرق من فلسطين ، وقد رفعهما المسيح من الحضيض إلى القمة ، ورغم أنهما وجدتا فى عصر لم يصل إلى ما وصل إليه عصرنا من تطور إلا أنهما تمتعتا بكافة حقوقهما فى ظل المسيحية ، فخرجتا وسارتا فى ركب المسيح ، وخدمتاه بكافة أنواع الخدمات ، ولذا أفسحت الكنيسة المجال لنسائها القديسات للاشتراك اشتراكا فعليا وفعالا فى كل ميادين النشاط الكنسى منذ البداية !!

. . .

كانت هذه المساواة إنجيلا جديداً حين جاءت للعالم منذ عشرين قرناً وقد ضربت ، كل الحواجز التى كانت متينة وثابتة ، ونقضت حائط السياج المتوسط بين اليهـــود والأمم ، وحطمت الأغلال التى كانت تقيد عبيد الإمبراطورية الرومانية وحررتهم فى مدى ثلاثة قرون لأنها وضعت السيد والعبد على مستوى واحد أمام الله الذى صنعهما كليهما من دم واحد ووضعهما تحت التزام مسئولية واحدة ،وجعل خلاصهما ممكناً بنفس الذبيحة وذات الشروط . كذلك رفعت المرأة من الانحطاط العميق والجهل المطبق بقولها إنه «ليس ذكر ولا أنثى فى المسيح يسوع » أى ليس لأحدهما امتياز على الآخر ، أو من حقه الحصول على رضا خاص من الله ، فإنهما بالنسبة للخلاص ، وفى كل ما يختص بالحياة الأبدية على نفس المستوى ، وكل منهما ثمين فى نظر السماء ، وكل منهما تقدم له مواهب ونعم التقوى ، فما أكرمه الله هكذا لا يكن للرجال أن يستمروا فى احتقاره ومعاملته كأنه شائع منحط بادعاء التفوق عليه .

إن نساء المسيحية لم يدركن تماماً إنجيل المساواة هذا ، لأنهن يجدن المرأة محتقره

حتى يومنا هذا فى كل مكان خارج المسيحية ، فقد منعت عن المجتمع وجعلت مجرد آلة للشهوة أو حيوان للشغل ، وضيق عليها الخناق واستعبدت بلا شرف أو كرامة — كشريكة وصديقة للرجل — ولازالت حتى الآن فى هذا الموضع المشين فى بعض الجهات التى لم تصل إليها المسيحية بقوة محبتها المقنعة وبروح الأخوة .

فالمسيحية هى التى حملت السيادة للمرأة إذ جعلتها سيدة البيت بل ملكته المحبوبة والمكرمة كزوجة وكأم تقف عند الصليب مع الرجل جنباً إلى جنب ، وتتقدم إلى نفس المائدة الربانية ، فهى شريكة النعمة التى ينبعث منها التأثير الرافع المطهر على كل علاقات الحياة .

فهذا الإنجيل المبارك قد جعل الحط من قدر المرأة مستحيلا بعد أن أثبت أنها ليست فوق الرجل أو تحته ، ولكن بجانبه بحسب التعيين الإلهى ،لا أقل ولا أعلى وإنما جنس آخر ، تكملة كيانه ، وهكذا رفعت المسيحية الأنوثة وكرمتها وربطتها بالرجولة فى كل خدمة مقدسة نافعة ووضعت المرأة فى مكانها الصحيح إذ أفسحت لها المجال للخدمة بحسب موهبة الله لها .

. . .

أما ماظنه البعض من أن هذه المساواة تتعارض مع كلمة الله ويستشهدون على هذا بقول الرسول : « لست آذن للمرأة أن تعلم .. ولا تتسلط على الرجل» (١تى٢:١٢) فإن هذا الكلام يختص بالعلاقة الطبيعية القائمه بين المرأة والرجل باعتباره رأسها ، وهذا يمنعها من اغتصاب السلطان منه ، ويؤيد هذا المثال المعطى عن آدم وحواء والإشارة إلى ولادة الأولاد ، فهى لا يجب أن تتسلط لأن الرجل رأسها وقد جبل أولا ، ثم ليس لها ان تعلمه لأنها قد أغويت فحصلت فى التعدى ، ومع ذلك يعلن الرسول بأن المرأة ستخلص نهائياً من هذا الحكم بعد ولادة الأولاد بشرط ثباتها فى الإيمان والمحبة والقداسة !! ومن المؤكد أن التعليم المقصود هو حمل مسئولية الرعاية بما يستلزمه من توجيه وتدبير فى الدائرة الكنسية كما أن التسلط المقصود هنا هو

قيامها بعمل الراعى ـ فى ممارسة الفرائض كعمودية الماء وكسر الخبز وعقد الزواج الأمر الذى تمنعه عنها كلمة الله لأن الله لم يقصد أن يجعلها تقوم بعمل الخدمة الرسمى ولم يسمح لها بذلك .

أما قول الوحى بأن «الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح ايضاً رأس الكنيسة» (أف٥ : ٢٣) فقد أساء البعض فهمه ظناً منهم أنها تعنى السيطرة والسيادة على المرأة مع ان المعنى أعمق من هذا بكثير . فإن الرسول بهذه العبارة قد قصد ان يمثل العلاقة بين الرجل والمرأة بالعلاقة القائمة بين المسيح والكنيسة وهو يقصد بهذا التشبيه أن يقول : « إننا نعرف علاقة المسيح بكنيسته ، ومنها نستطيع ان ندرك الكثير عما يجب أن تكون عليه صلة الرجل بزوجته ، فالمسيح لكنيسته كالرأس للجسد ، لقد بذل نفسه لأجلها ، وهو يسكب لها حبه ويغذيها بعطفه . فهذه المحبة العظمى وهذه التضحية هى نموذج لما ينبغى أن تكون عليه محبة الرجل لزوجته ، وإزاء ذلك على الكنيسة كما على الزوجة أن تهب نفسها لرأسها فى روح الحب والطاعة والخدمة» فإذا نسى الرجل أن المرأة نظيره ومع انه رأس لها ولكنه ليس رئيساً عليها اختل كل توازن محمود بينهما ، فإذا نسيت المرأة أنها لم تخلق لذاتها ، بل خلقت من أجل الرجل ورامت أن تستقل عنه وتناهضه لضاعت وأضاعته . ولعل الاضطراب الذى عانته البشرية قديماً وحديثاً يرجع إلى رغبة الرجل والمرأة فى الشذوذ عن هذا الوضع والخروج عليه !!

ويستفاد من ذلك ان هذه العبارة تمثل لنا قيادة الرأس للجسد سواء فى المسيح أو فى الرجل عن طريق الحب لا العنف فهى إذاً ليست قيادة جبرية بل اختيارية — ولذلك وجدنا أن الزوجة دائماً تريد ما يريده زوجها — متى كانت معاملته لها معاملة طيبة ، ويكون حبه لها هو إعلان لحب المسيح لها ، فإن ظن الزوج أن من حقه أن يتعالى على زوجته استناداً إلى قول الكتاب بأن الرجل هو رأس المرأة، فليذكر قولا آخر ورد فيه وهو ان « المرأة الفاضلة تاج لبعلها » (أم١٢ : ٤) ولهذا السبب سمى الزواج إكليلا لأن المرأة توضع فيه كتاج على رأس الرجل فقد خلقها الله لتكون تاجاً على مفرقه ، وهذا التاج يزينه ويشرفه !!

ثانياً : مبدأ السماح للمرأة بالاشتراك فى العبادة :

عرفت العائلة البشرية الأولى — التى أسسها آدم أبو البشر — الاتصال بالله عن طريق العبادة ، فكانت حواء تشترك مع آدم فى بركة زيارته — تعالى — اليه ، وبعد السقوط أخبرا أبناءهما بمعرفة الله وطريقة الاقتراب اليه — تعالى - عن طريق الذبيحة ، فلما قدمها هابيل كان أول شهيد من شهداء الحق . ثم أعطى الله لأبوينا الأولين « شيثا » عوضا عن هابيل القتيل ، فأخذ مكانة واتبع إيمانه فانتعشت العبادة من جديد فى عائلة آدم ، ولذلك عندما ولد أنوش لشيث قال الوحى : « حينئذ ابتدىء أن يدعى باسم الرب » (تك ٤ : ٢٦) .

وبنوح بدأ الله العائلة البشرية الثانية ، فلما قصد أن يرسل الطوفان على الأرض أوحى إليه أن يبنى لنفسه فلكا ، « فدخل وامرأته وبنوه ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان » (تك ٧ : ٧) ، وهكذا ظهر قصد الله فى أن يجعل المرأة شريكة للرجل فى الخلاص من أقدم العصور !!

ولما اختار الله ابراهيم — أب المؤمنين — ليحمل لواء الدين القديم ، وكلمه بالرؤى والأحلام ، نجده تعالى قد تنازل واكرم المرأة فى بيته بظهوره لكل من هاجر جاريته ، وسارة امرأته على السواء ، فيخبرنا الوحى أن « ملاك الرب وجد هاجر على عين الماء فى البرية . . وتحادث معها . . فدعت اسم الرب الذى تكلم معها أنت إيل رئى » (أى أنت الله الذى رأيته) لأنها قالت « أهنا أيضا رأيت بعد رؤية » (تك ١٦ : ١٣) ويذكر الوحى أيضاً كيف خاطب الرب سارة حينما دخل ضيفا على خيمة ابراهيم (تك ١٨ : ١٥) .

ونقرأ فى الأصحاح الثالث عشر من سفر القضاة عن امرأة ثالثة استحقت الاستعلان الإلهى وهى زوجة منوح التى ظهر لها ملاك الرب وبشرها بأنها ستكون أما ، وعندما ظهر لها فى اليوم التالى رجته أن ينتظر ريثما تنادى زوجها لكى يراه هو أيضاً وبالفعل تم لها ذلك ، وقد كانت هذه المرأة أشجع من زوجها فطمأنته حينما قال لها : « نموت موتا لأننا قد رأينا الله » .

والمرأة التى استحقت الاستعلانات الإلهية زادها الله تشريفا بوضع اسمها على بعض الأسفار الإلهية مثل راعوث الموآبية واستير الملكة ، وليس ذلك فحسب بل فى الكتاب نصوص واضحة وصريحة تثبت اشتراك المرأة مع الرجل فى التعبد لله سواء فى الترنيم أو الصلاة أو التنبؤ ، وقبل أن ندخل فى تفاصيل هذه نقتبس قولا لذهبي الفم يذكر فيه أن الذين لايجدون فى أحاديث الرسول بولس عن المرأة غيرآية واحدة يرددونها فى كل فرصة وهى قوله « لتصمت نساؤكم فى الكنائس » « هؤلاء لايسيئون اليه هووحده ولكنهم يسيئون إلى المسيحية نفسها ، ولكن قوما لايعقلون يجاهرون بأن هذه الكلمات المقتضبة التى قد قطعوا الصلة بينها وبين الأقوال التى سبقتها وبين ما ورد بعدها ، مفسدين بذلك منطق الوحى المتسلسل المتتابع فى روعة وابداع بزعمهم أن هذه الكلمات بهذه الصورة المحرفة — التى قامت فى أذهانهم — هى النظام الروحى ودستور الروح القدس الذى لايقبل التغيير أو التبـــديل ، بل يستوجب الصمت والقبول لكونه المكتوب فى الكتاب، وهم فى ذلك واهمون يدخلون فى زمرة «غير العلماء وغير الثابتين الذين يحرفون رسائل بولس التى فيها أشياء عسرة الفهم كباقى الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم » ، أما نحن فيوصينا الوحى بأن « نحترس من ان ننقاد بضلال أمثال هؤلاء الأردياء » (٢ بط ٣ : ١٦ ، ١٧) .

. . .

وإننا إزاء تمسكهم الحرفى بهذه الكلمات نبحث الجانب الأول الذى تشترك فيه المرأة فى العبادة وهو الترنيم ؟ وهنا يحق لنا أن نسألهم : إذا كان السكوت الحرفى هو المقصود بالكلمات سالفة الذكر فلماذا تشترك النساء فى الترنيم ؟ وكيف يمكن أن نعتبر المرأة فى سكوت وهى ترنم ؟ ومع ذلك فإننا لم نعرف قط أى كنيسة منعت النساء من الترنيم ! فلو كان الصمت هنا يعنى السكوت الحرفى فإن المرأة التى لاتنفذه تعصى الله وتخطىء ، وهل يبارك الله الخطيئة ويرضى عن العصيان !؟ بهذه الكلمات جابه الرجل العظيم المعاصر دكتور أوزوالد سميث أصحاب التفسير الحرفى لهذه العبارة عند كتابته فى موضوع « خدمة المرأة » .

والحقيقة التى تتضح من ثنايا سطور الوحى الكريم تثبت بما يستوجب التسليم التام روعة اشتراك المراة فى تسبيح الله ، فيعلم كيف رنم موسى ومعه الرجال بعد خروج الشعب من مصر ، وعبورهم البحر الأحمر ، فأخذت مريم النبية اخت هارون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص (خر ١٥: ٢٠) وهنا تقف مريم أماً للمرنمات فى كنيسة الله وقائدة لهن ، وقد يسلم البعض إزاء ذلك بحق المراة فى الترنيم ولكنه يزعم أنه لايحق لها أن تبدأ به أو تقوده فى اجتماع عام حتى لايرتفع صوتها مع صوت الرجل ، وهذا زعم باطل لأن النص التالى يقول: « فأجابتهم مريم رنموا للرب فانه قد تعظم الفرس وراكبه طرحهما فى البحر» (ع ٢١) ومعنى ذلك أنها كانت تقود النساء فى الترنيم بالدفوف والرقص ويجبن على موسى والرجال بتكرار آخر مماثل وهذا هو الترنيم المنوع المملوء بالرهبة والجلال وكان ذلك فى اجتماع عام جمع الرجال والنساء بل الأطفال فهتف الجميع بخلاص الله لهم من عبودية زمنية فما بالك بخلاصنا من الهلاك الأبدى ؟ ! » . وإزاء ذلك لم يسع المعترض إلا أن يقول بأن مريم هذه كانت تكبر موسى بعشر سنوات وهذه حجة واهية إذ ليس للسن حكم أو اعتبار يجيز المخالفة أو العصيان !

وفى الاصحاح الخامس من سفر القضاة يسجل لنا الوحى ترنيمة دبورة وهى نشيد خالد للأجيال ألهمها إياه روح الله فنظمته وترنمت به ، ومن وراثها باراق ابن أبينوعم . وهذه من المسائل التى حيرت المعترضين فنسبوا نشيدها إلى ماتميزت به من حكمة وتقوى ، وهذا معناه أن لمثيلاتها ممن يتميزن مثلها بهذه الصفات الحق ليس فقط فى قيادة الترنيم بل وفى تلقى الإلهام به فيذكر مثلا كاتب كتاب (نساء الكتاب المقدس) أن الترنيمة التى مطلعها :

كما انـــا آتى إلى فادى الورى مستجلا
إذ قلت نحوى أقبلا يا حمل الله الوديع

من إنشاد فتاه موهوبة الصوت كانت تغنى فى احدى الحفلات ، فاقترب منها واعظ وقد تملكه الاعجاب بصوتها وقال لها : « أيتها الفتاة كم تخدمين المسيح

لوكرست هذا الصوت العذب لتسبيحه فانه يستحق ذلك ؟ وعلى أثر هذا لم تنم الفتاة فى تلك الليلة ، وبعد صراع طويل نهضت وكتبت هذه الترنيمة الخالدة . هذه الفتاة هى شارلوت البوت .

وقد سجل سفر صموئيل الأول الأغنية البديعة التى رنمتها حنة معلنه فيها عظمة سيادة الله .

وقد جاء فى أخبار الأيام الأول (ص ٢٥ : ٥ – ٧) أن هيمان رائى الملك لكلام الله لرفع القرن كان له أربعة عشر ابنا وثلاث بنات كل هؤلاء (أولاد وبنات) كانوا يقومون بالغناء فى بيت الرب ، ويعزفون بالصنوج والرباب والعيدان » .

ويذكر عزرا أنه كان للشعب الراجع من السبى مئتان من المغنين والمغنيات ، (ص ٢ : ٦٥) بينما يذكر نحميا ان المغنين والمغنيات مئتان وخمسة وأربعين (ص ٧ : ٦٧) ، فهؤلاء المغنيات كن يشتركن مع المغنين فى الهيكل ، فى حين تكلم داود عن ضاربات الدفوف بقوله : « من قدام المغنون من وراء ضاربو الأوتار فى الوسط فتيات ضاربات الدفوف » (مز ٦٨ : ٢٥) . وهكذا رأينا من النساء فى العهد القديم نفسه المغنيات وضاربات الدفوف والعازفات على مختلف الآلات الموسيقية فى الهيكل ! ولهذا كان فى غاية المناسبة ان وجدنا العهد الجديد يفتتح بذكر حنة بنت فنوئيل النبية التى لما رأت الطفل المبارك يسوع يحمله سمعان الشيخ على ذراعيه ، فى تلك الساعة وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه (لو ٢ : ٣٨) ، فكما بارك سمعان الله ترنمت حنة أيضا عن الفداء ، وكل ذلك تم فى الهيكل ! .

فلا غرابة إذن إن رأينا فى خاتمة العهد الجديد منظر الغالبين وهم يترنمون ضاربين بالقيثارات يرتلون ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف (رؤ ١٤ ، ١٥) ، ولما كان من العدل والانصاف أن يعطى الله القيثارات لكل من يستحقها من المؤمنين الغالبين ، فان المؤمنات الغالبات سوف يستيقظن فى المجد الأبدى ومع كل واحدة منهن قيثارتها لتغنى أغنيه موسى والحمل ، وإذا كان الأمر كذلك فان انطلاقهن

فى تسبيح الرب بأصواتهن العذبة الشجية ليس أمراً جائزا فقط وإنما هو واجب محبب ، ولهذا رأينا ظهور أجواق الترانيم فى الكنائس الناضجة المتدربة على النظام البديع تتكون أغلبها من الفتيات ! ! بل لقد شهد ترتليان كيف أن « نغمات المزامير كانت تتجاوب بين الزوجين عندما يتنافســـان فى أيهما يرنم أكثر للرب » ، ولما كان التسبيح لإلهنا هو أمجد ما سنقوم به فى السماء ، وهو عرفان بالجميل و تقدمة شكر من شفاه معترفة باسمه على الأرض ، لذلك فقد أمر الوحى فى المزمور المائة والخمسون قائلا : « كل نسمة فلتسبح الرب سبحوه بدف ورقص سبحوه بأوتار ومزمار . سبحوه بصنوج التصويت . سبحوه بصنوج الهتاف » ، كما بين المزمور المائة والثامن والأربعون أن جميع الملائكة وكواكب النور وعناصر الطبيعة وجميع الحيوانات والطيور مع الملوك والرؤساء والأحداث والعذارى أيضا مع الشيوخ والفتيان . الجميع يجب أن يسبحوا اسم الرب !

« لأنه قد تعالى اسمه وحده . مجده فوق الأرض والسموات » .

فمن هو هذا الإنسان الضيق الأفق الذى يحاول مخطئا أن يقف فى طريق المرأة المؤمنة المقدسة ويمنعها عن أن تمجد خالقها وفاديها بما وهبها من صوت عذب حنون . فاذا كنا نرى هذا الفن المقدس يتحول إلى ألحان دنسه آثمة على أفواه الراقصات والمغنيات فى هذا العالم الموضوع فى الشرير ، فمن لنا بمريم التى تغنى للرب ، وللرب وحده ! ؟ وترقص أمام الرب دون أن تخشى عيون المتفرجين أو الحاسدين ! ؟

. . .

أما من جهة الصلاة — وهى مخاطبة الله — والتنبؤ — وهو مخاطبة الناس برسائل إلهية — فقد ورد النص الصريح الذى يجيزهما للمرأة دون أدنى معارضة — فى قول الرسول : « كل امرأة تصلى أو تتنبأ . ورأسها غير مغطى فتشين رأسها » . (اكو ١١:٥) ومعنى ذلك أن النساء كن يصلين ويتنبأن فى الكنيسة الأولى ، ولم يقتصر ذلك على النساء بل شمل العذارى أيضا ، فيذكر الوحى أن بولس ورفقاءه لما جاءوا إلى

قيصرية دخلوا بيت فيلبس المبشر . . . وكان لهذا أربع بنات عذارى كن يتنبأن ، (أع ٢١ : ١٩) ، والذى يتنبأ بحسب تعريف كلمة الله يكلم الناس ببنيان ووعظ وتسلية ، بل إن النبوة تصل إلى « كشف خفايا القلب » مـــع ما يصحب هذا من ماتنائج . (١ كو ١٤ : ٣ و ٢٥) .

ومن هذا نرى أن البنات والنساء كن يتنبأن ويصلين فى الكنيسة الأولى ، ومهما بلغت حجة المعترض لايمكن تجنب هذه النتيجة ، وهى أنه لاخوف من لوم أوادانة فى قيام المرأة بالتنبؤ ، ومعنى هذا أنه يجوز للمرأة أن تقدم فى الاجتماع رسالة بالروح القدس ، وكذلك هو يوصى باشتراك المرأة فى الصلاة إلى الله بقوله : « احكموا فى أنفسكم هل يليق بالمرأة أن تصلى إلى الله وهى غير مغطاه » (ع ١٣) . إذن فقد كانت المرأة فى الكنيسة الأولى تصلى دون اعتراض مهما كانت محاولة تحريف المكتوب بالقول بأنها تستطيع أن تصلى فى الروح فقط لأن هذه اضافة على ما يحويه النص فضلا عما فيه من اعتراف بحق المرأة فى أن تصلى بالروح أى بالألسنة ، وهذا فى غاية الغرابة والتناقض : إذ كيف يسلمون بذلك ونحن نعلم أن الصلاة بالروح أروع جدا وأسمى من صلاة الذهن ، فان كان الله قد سمح للمرأة بالأعظم فكيف يمنعها عن الأدنى ! ؟ ومادام الله تعالى قد أسس الحمد من أفواه الأطفال والرضع (مز ٨ : ٢) ، فجعل من الأطفال رائين ومن الرضع أنبياء ، وهذا بأنه وهبهم — مع أنهم ضعفاء الأرض — أن يشاهدوا جمال الرب ويظهروا حمده . فكيف يكون معقولا ومقبولا أن يحرم النساء القديسات من هذا وهو الذى قال فى المناسبة الأولى (إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ (لو ١٩ : ٤٠) .

أما تغطية الرأس التى يوصى بها الوحى هنا باعتبارها المسئولية الوحيده التى يجب على المرأة الإلتزام بها فيجب ان نعرف أنها تعالج أولا مشكلة محلية بسبب الانتقال من الوثنية إلى المسيحية ، أما المبدأ الذى يستخلص من هذا فلامانع من تطبيقه : فقد أباحت الوثنية كشف رؤوس النساء اللواتى نذرن أنفسهن للرذيلة فى معابدها ، خلافا لما درجت عليه المرأة منذ القديم فى قبولها أن تتغطى بالبرقع

إشارة لأمانتها لزوجها (تك ٢٤:٦٥) ، وقد كان من المتبع فى الناموس أن يكشف الكاهن رأس المرأة — التى يحدث شك فى أمانتها — كدليل على انها قد سحبت من سلطة وحكم زوجها وأنها لم تصبح خاضعة له بعد (عد ٥ : ١٨) ، فلما دخلت الكورنثيات إلى المسيحية تعدين حدود الحرية المعطاة لهن بقيامهن بالصلاة والتنبؤ برؤوس غير مغطاة ، فأعلن الرسول أن الرجل يجب أن يشين رأسه (رئاسته) إذا ما اتخذ لنفسه نظام المرأة بتغطية رأسه ، أما المرأة فانها تشين رأسها (زوجها) إذا ما طرحت عنها علامة خضوعها له وتعرض نفسها لتهمة الخيانة ، ولذا كان على المرأة أن تغطى رأسها لتظهر أنها بمحض إرادتها الشخصية قد قبلت الخضوع لرجلها هذا الخضوع الذى علمتها إياه الطبيعة التى زينتها بشعر طويل (ع ١٤ ، ١٥) فغطاء الرأس هنا علامة ظاهرة لسلطان الرجل ، علامة يراها الملائكة الذين يحضرون الاجتماع ، والذين يتغطون هم أيضا بأجنحتهم إحتراماً وخضوعا لهيبة المسيح واجلالا لرئاسته !!

ومادام الأمر كذلك فما معنى قول الرسول إذا فيما بعد : « لتصمت نساؤكم فى الكنائس لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً » ؟ (١كو ١٤ : ٣٤) ، وهذا هو النص الذى يتمسك به المعترضون ظنا منهم أنه يدين المرأة المسيحية ، بينما يكفل حرية الرجل المسيحى فى الاجتماع الكنسى ، ومن المهم أن نعرف المعنى المقصود هنا ، وهو قطعا فى ضوء النصوص الكتابية الأخرى لا يمكن أن يكون المقصود به منع المرأة من التنبؤ أو الصلاة وإلا تعارضت النصوص الكتابية مع بعضها ، وواضح من نفس الموضع ومن النص التالى أن « صمت النساء » هنا فى قوله « نساؤكم » يؤكد حدوث حالة أثناء الاجتماع الذى كان يضم الرجال والنساء معا ، وفى خلال الاجتماع قامت النساء بسؤال رجالهن عما عسر عليهن فهمه ، وقد تم ذلك جهرا فى الاجتماع ، وهذه حالة محلية حدثت فى كورنثوس حيث أساءت بعض النساء المؤمنات استخدام حريتهن الحديثة فى المسيح بدون حكمة وسألن رجالهن الجالسين فى جانب من الاجتماع ان يوضحوا لهن المعنى ، وهذه الحالة بالطبع كانت تسبب تشويشا يعطل رسالة الإنجيل ، ومن أجل ذلك أمرهن الرسول فى

الآية التالية مباشرة بأنهن أن اردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن فى البيت لأن قبيح بالمرأة ان تتكلم فى كنيسة (ع ٣٥) ، وهذا النص بحرفيته لا يترك مجالا لمكابر للاعتراض ، اللهم إلا إذا كان يقصد ان يتجاهله ويتمسك بالكلمات السابقة له فقط ويكتفى بها وحدها وهذا ضلال مبين ، إذ هو تمسك اعمى بجانب من الحق فى غير موضعه لأنه قائم على اساس اخفاء الجانب الآخر منه . فالصمت هنا مرتبط بالكلام الطبيعى وتوجيه الأسئلة من النساء لرجالهن فى الاجتماع العام ، وهذه كانت حالة شاذه استلزمت ان يعالجها الرسول الذى وجه رسالته إلى هذه الكنيسة أولا .

ومعلوم ان لكلام الوحى عموما تطبيقان اولا محليا بحكم حالة الموجه إليه الكلام ، ثانيا عموميا بالنسبة للمؤمنين عموما فى كل الأجيال ، فهو ينطبق تماما على الحالة المحلية التى كانت قائمة آنذاك ، وتطلبت هذا العلاج الحاسم ، ولكنه من الوجه العمومى لا ينطبق إلا على الحالات المماثلة فقط ، وهذا هو قانون التفسير السليم الخالى من الاعتساف والانحراف !

وفضلا عن هذا فان الفرق كبير بين النطق الإلهامى بالروح وبين الكلام بحالة طبيعية الأمر الممنوع ليس بالنسبة للنساء فقط بل بالنسبة للرجال ايضاً على حد سواء وشتان بين الكلام الطبيعى وبين الكلام فى الروح سواء بالدافع للصلاة او بالتنبؤ فى الروح ، ولذا فقد اوصى الله عن مسحائه وانبيائه بالقول : « لا تمسوا مسحائى ولا تسيئوا إلى انبيائى » .

ولذا فلا يجوز منع المرأة المسيحية من الترنيم او الصلاة أو التنبؤ متى كانت هذه بدافع من روح الله ، والحرية الصحيحة إذن ليست حرية جنس دون الآخر ، بل حرية الروح القدس فى استخدام من يشاء من كل من الرجال والنساء ، فهو بسلطانه المطلق له ان يحرك المرأة كالرجل والصبى كالشيخ ، بل لقد استخدم ديكا فى تبكيت بطرس وحمارا فى توبيخ بلعام !!

• • •

أما ارجاع خضوعهن إلى أن الناموس يقول بذلك أيضاً ، فالاشارة فيه تتجه إلى ما جاء بالحكم الذى أصدره الله على المرأة بسبب السقوط ونصه: « إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » (تك ٣ : ١٦) ، فاذا لم تحسن المرأة المسيحية تقدير امتيازها الذى اعطاه لها العهد الجديد ، وتصرفت فى ظلال النعمة تصرفا لايليق بالكرامة التى نالتها ، وجب تذكيرها بحالتها السابقة تحت الناموس من خضوع مطلق للرجل جزاء استحقاقيا عادلا يتفق مع تهاونها هذا !!

ثالثاً : مبدأ التصريح للمرأة بالخدمة التطوعية :

بينما وجدنا كلمة الله تمنع قيام المرأة بالخدمة الرسمية حيث تصبح معلمة أو راعية فى كنيسة الله . وقد ربط الوحى بين الرعاية والتعليم بما جاء فى أفسس ٤ : ١١ حيث يقول : « أعطى البعض ان يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين » ، وقد منعها فى العهد القديم من الكهنوت فقط ، ولكنه أجاز لها أن تؤدى جميع الخدمات المطلوبة لخدمة الله وبيته المقدس إذ كانت مطالبة أيضا بحفظ الشريعة (يش ٨ : ٣٥) .

ولذلك فقد أمر الله بتجنيدها للخدمة عند باب خيمة الاجتماع (خر ٣٨ : ٨) وقيل أن تكون المرأة نذيرة الرب (عد ٦ : ٢٠) أى تكون مكرسة تماماً ، ولهذا وجدنا أشعياء أمير الأنبياء يهتف « على جبل عال أصعدى يامبشرة صهيون . أرفعى صوتك يا مبشرة أورشليم .. إرفعى لا تخافى .... » (ص ٤٠ : ٩) بينما يعلن النبى داود عن ذلك بقوله : « الرب يعطى كلمة . المبشرات بها جند كثير »

ويذكر الوحى فى سفر الخروج أن أول نبى لبنى اسرائيل كانت مريم النبية أخت هارون وموسى.وقد قيل عنها أنها أم فى إسرائيل،وهى أولى مريمات الكتاب المقدس؟ ولقد كانت زعيمة فى وسط شعبها ، وضعها الله جنباً إلى جنب مع أخويها كما هو مكتوب : « أرسلت أمامك موسى وهرون ومريم » (ميخا ٦ : ٤) ، وذلك لأنها آمنت بإلهها وشعبها وعاشت له وأحبته وفزعت وبكت لآلامه ، وغنت لأفراحه ،

وهتفت ورقصت له يوم النصرة والمجد ، ولقد منحها الله موهبة النبوة ، يهبط عليها الإعلان السماوى ، فتسمتع إلى صوت الله لتقدمه إلى الشعب فى نصيحة أو تحذير أو موعظة ... وهى بذلك الأم الأولى للرسلات العظيمات اللواتى عشن وما يزلن إلى اليوم لله والكنيسة يكافحن فى سبيل الملكوت ! كذلك نقرأ فى سفر القضاة عن دبورة النبيه: التى كانت تجلس تحت النخلة فيصعد إليها بنو إسرائيل للقضاء ، والتى ذهبت على رأس جيش باراق لتنفث الشجاعة فى هذا القائد المتخاذل . ووصولها إلى مركز القيادة هذا قد حير أعداء المرأة ، فقالوا أن ذلك قد حدث لأن باراق أظهر الضعف والجبن تجاه مهام مركزه الخطير ، وهذا قول يدعو للدهشة لأنه يهدم إعتراضهم من أساسه إذ يؤكد مبدأ سيادة الله المطلقة التى تظهر فى إختياره للنساء وإستخدامهن بل تفضيلهن على الرجال إذا ما خاب هؤلاء فى حمل مسؤليتهم التى كلفهم بها فأظهروا الخيبة دونهن ! وليس ذلك فقط بل ان الله مطلق السلطان فى استخدام ايا يشاء ، ولهذا فقد تكلم فى خلدة النبيه برسالة خطيرة فى أيام يوشيا الملك ، بدأتها بالقول « هكذا قال الرب » وكررت هذا القول لتأكيد ان كلامها ليس منها بل الرب هو المتكلم على فمها ، وقد كان من بين الذين ذهبوا لاستشارتها حلقيا الكاهن (٢ مل ٢٢ : ١٤ — ٢٠) . ولن ننسى نساء أخريات ورد ذكرهن فى العهد القديم من بينهن حنة أم صموئيل وابيجايل زوجة نابال والمرأة الشونمية التى اهتمت باكرام اليشع النبى واعتبرته رجل الله المقدس ! ! وهكذا وجدنا أن المرأة شغلت اسمى المراكز الدينية كالنبوة والقضاء والادارية كالزعامة وقيادة الجيوش إلى غير ذلك .

• • •

كانت هذه هى خدمة المرأة فى العهد القديم ، فلما جاء المخلص اكمل ما كان ناقصاً إذ قال له المجد : « جئت لأكمل » (مت ٥ : ١٧) ، وأول ما نلاحظه فى سلسلة أنسابه التى أوردها متى البشير فى اصحاحه الأول أن هناك أربع نساء ذكرت أسماؤهن فيها وهن « ثامار وراحاب وراعوث وبثشبع » وبهذا سجل الإنجيل أسماء جدات المسيح له المجد .

ويذكر لوقا البشير فى الاصحاح الثانى عند اتيان المسيح إلى الهيكل وهو طفل كيف استقبله اثنان : (رجل وامرأة) هما سمعان الشيخ وحنة البنية إعلانا عن أن العهد الجديد هو عهد المصالحة بين جميع أبناء آدم وحواء من رجال ونساء ، وهذا العهد قد أتى ويقوم على التعاون بين الجنسين ، وأن الخدمة موضوعة على كليهما على السواء . ويذكر هذا "بشير عينه فى أصحاحه الثامن أن السيد المسيح : كان يسير فى كل مدينة وقرية ومعه الرسل الاثنا عشر ، وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة ، وأخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن من بينهن امرأة خوزى وكيل هيرودس وسوسنة . وكلامه هذا يأتى بعد ذكر حادثة المرأة الخاطئة التى غسلت رجليه بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها وهى مريم المجدلية التى أخرج منها سبعة شياطين التى كانت ضمن من تبعته إلى الصليب ووقفن إلى جانبه حتى أسلم الروح ، كما أنها ذهبت للقبر باكراً فى فجر الأحد فظهر الرب أولا لها لأنها كانت تبكى فأراد أن يمسح دموعها مبينا لها أن يوم نصرته لا يصح أن يكون يوم دموع وبكاء ، ثم أرسلها لتبشير رسله ولتنبئهم بخبر قيامته ، فكانت هى ومن معها تابعات للسيد أينما ذهب ، يسرن وراءه فى روح عميقة من التعبد والولاء بعد أن حولها المسيح وطبع فى قلبها نور حبه العظيم ، وهكذا صارت المجدلية مصباحا مشرقاً قوياً ، بعد ما مر بها السيد وخلصها وأضحى فتوئيل حياتها : وهكذا كافأ المسيح المرأة فى شخص مريم المجدلية ورفع كرامتها المهانة لأنها كفرت يوم الصلب عما فعلته يوم السقوط إذ انفردت بالولاء له دون الرجل : . ويقال أنها ذهبت فيما بعد إلى رومية حيث اشتكت بيلاطس البنطى إلى قيصر ، ويقال أن اليهود ارادوا الانتقام منها فوضعوها مع مريم ولعازر واثنين من السبعين رسولا فى مركب دفعتها التيارات المائية إلى شاطىء مرسيليا حيث نزل الجميع وهناك حملت مريم البشارة إلى أهل المنطقة الجنوبية من فرنسا . وبذلك أخذت « المجدلية » مكانها فى الصف الأول مع أخلد البطلات !

أما المرأة السامرية التى يسجل لنا قصتها يوحنا البشير فى الاصحاح الرابع من انجيله فقد عقد أحدهم مقارنة بينها وبين نيقوديموس الذى ورد ذكره فى الاصحاح الثالث جاء فيها أنه وهو رجل يهودى قد جاء إلى يسوع ليلا وصار له تلميذا فى الخفاء

ولا نعلم إن كان قد أحضر أحداً للمسيح أم لا ، أما هى فمع انها سامرية ومحتقرة إلا أنها تقابلت مع المسيح ظهراً واعترفت به حالا ثم ذهبت وبشرت به فوراً وأحضرت له مدينة بأسرها ! فكانت من أوائل الكارزات باسمه ! وقد فعلت ذلك لأن المسيح أشعرها بكيانها ورفع كرامتها ورد الاعتبار لنفسها الذليلة ، وقد أثبت علم النفس أن أفضل مايؤثر فى النفس البشرية أيا كان صاحبها هو احترامك وتقديرك لها واعترافك بشخصيتها !

وإننا لنذكر أيضاً اليصابات زوجة زكريا الكاهن ، وقد شهد الكتاب لتقواها وشهد المسيح أنه لم يقم من بين المولودين من النساء من هو أعظم من يوحنا المعمدان الذى ولد منها ، وقيل عنه أنه من بطن أمه يمتلىء من الروح القدس !

كما أننا لا ننسى تلك المرأة التى سبقت ودهنت المسيح بالطيب لتكفينه على غير علم منها فقال عنها رب المجد أن عملها لابد وأن يذكر حيثما يكرز بالانجيل!

ويحدثنا كل من البشيرين لوقا ويوحنا عن مريم ومرثا اختى لعازر ، ومن العجيب أن يسجل يوحنا اسميهما قبل اسم أخيهما ، فيذكر الاثنين أولا والأخ أخيرا (يو ١١ : ٥) فى عصر كانت النساء تأتى فيه فى المؤخرة إن لم يغفل ذكرهن بالكلية ! وقد احتذى بولس بذلك فذكر اسم بريسكلا أولا وجعله متقدما عن اسم زوجها أكيلا وفعل ذلك فى أغلب التحيات وليس لهذا الأمر من معنى إلا تقدير بولس لها عند إرسال السلام إليها ، وهذا يكشف لنا عظم المكانة التى تعطيها المسيحية للمرأة التى ترتفع فى الخدمة والحياة الروحية ، انها فى التحية والاكرام والمودة تقدمها على الرجل ، إذ هى شديدة الرفق بها والحدب على ضعفها وتجتهد ما أمكن أن تدثر هذا الضعف بيدها الرقيقة الحنون ، فضلا عن مبادىء تكافؤ الفرص والإنصاف فى المكافآت التى كان المسيح أول من نادى بها وفتح بذلك الطريق لتحرير المرأة على مدى الأجيال .. فعل ذلك فى وقت كان اليهود يحتقرون المرأة فيه لأقصى درجة وكان من العار أن يكلم رجل امرأة فى مكان عام حتى ولو كانت أمه أو أخته أو زوجته !! بل كان اليهودى يقول أحرق الشريعة ولا تعلمها لامرأة . وكان بين اليهود بعض الفريسيين يدعون

« بالفريسيين الدامين » وهذا نسبة لأنهم كانوا يضربون رؤوسهم حتى تدمى فى أقرب حائط تكفيرا لهم عن رؤية أى امرأة يتفق أن تقع ابصارهم عليها ، وكان الواحد منهم يقول فى صلاته لله : « اللهم اشكرك لأنك خلقتنى يهوديا لا اميا ، ورجلا لا امرأة » . أما فى بلاد اليونان فكانت المرأة تعامل معاملة وضيعة وقد قرنها ارسطو بالعبد وكانت أثينا تقدر المرأة بمقدار تبذلها ، وكانت روما تنظر إلى المرأة نظرة أقسى وأشر حتى جردها القانون الرومانى من حقوقها وأعطى لزوجها السلطان المطلق عليها وهو يمتد إلى حياتها نفسها . هذا هو الأسار المفزع الذى طوقت به المرأة فى كل التاريخ حتى جاء مخلصنا وفك اسارها وأطلقها حرة طليقة تستمتع بالحياة فى أنقى واقوى وأجل صورة . لقد شربت قبله كؤوسا من الاثم والذل والهوان ، ولكنه حينما جاء أخذ من يدها هذه الكؤوس وحطمها ، وقدم لها كأس الفرح والبهجة والخلاص . ولأجل هذا أطلق العالم المسيحى على المرأة « الجنس اللطيف » و « النصف الأفضل » ، وما أشبه من الألقاب السمحة والنعوت الرقيقة الأمور التى لم يكن يعرفها بدأ العالم القديم ! .

هذا وقد ألقى المسيح واحدا من دروسه عن العطاء متخذا فلسى الأرملة مادة لذلك وقد دلل بهذا كله على مركز المرأة فى رسالته الخالدة فانه له المجد قد رفع شأنها . وقرر لها المساواة التامة بالرجل فى حقيقة الايمان كما نقض وأزال عنها جميع قيود الظلم ومظاهر المهانة والاستضعاف والاسترقاق وأعاد لها ذات المركز الأول الذى خلقت له المرأة الأولى وذلك بفعل لمسته القوية لها تلك اللمسة التى بعثت منها مخلوقا حيا حراً كريماً فزاد بذلك كرامتها فى العالم بأسره عامة وفى كنيسته على وجه أخص ! !

وفضلا عما ذكر نرى أن للمرأة أن تتيه وتفخر على الرجل لأنها عاملت المسيح معاملة أحسن وأنبل : فقد لقى المسيح من الرجال خسة وجبنا ، فالذى باعه رجل ، والذى خانه وأنكره رجل ، والذين عذبوه وكللوه بالشوك وسخروا به كانوا رجالا وحتى الأوفياء من تلاميذه ابتعدوا عنه وقت الصلب ، أما المرأة فما أجل وأرق والطف معاملتها له ، وهل تجد فى الانجيل امرأة واحدة امتهنته واحتقرته ! ؟ فى

بيت سمعان الفريسى أظهر له الرجل كل جفاء أما المرأة فقد تعبدت له ، وفى بيت سمعان الابرص وجد من التلاميذ غيظا وحنقا بينما سكبت عليه المرأة طيبا ذكيا ، وفى يوم الصلب دوى صيوت الرجال فى أورشليم يقول : « اصلبه ! اصلبه ! » بينما سارت بنات أورشليم وراءه حزينات يلطمن وينحن عليه ! !

. . .

أما العصر الرسولى الذى يسطر تاريخه سفر الأعمال فندهش لعدد النسوة اللاتى جاء ذكرهن فيه ، ففى نفس الاصحاح الأول نقرأ عن وجود النساء ومريم أم يسوع ضمن المائة والعشرين الذين كانوا ينتظرون موعد الآب الذى ناله الجنسان على حد سواء ، وكان هذا الاجتماع فى نفس العلية التى رسم فيها المسيح فريضة العشاء الربانى ، وفيها ذاتها حل الروح القدس وتكونت الكنيسة ، والعجيب أن هذه العليه كانت فى بيت مريم أم مرقس البشير ، وهذا يعنى ان اول كنيسة فى العالم بأسره كانت فى بيت امراة .

بعد ذلك نقرأ عن طابيثا التى يصفها لوقا البشير بأنها كانت ممتلئة أعمالا صالحة وإحسانات !

وقد عقد بولس الرسول أول اجتماع له فى أوروبا عند نهر فيلبى وهناك كلم النساء اللواتى اجتمعن ومن بينهن ليدية بائعة الأرجوان ومن جمال التوفيق أن يكون القلب الأول الذى فتحه بولس للمسيح فى أوروبا قلب امرأة لا رجل . وهكذا سبقت المراة الرجل معرفة المسيح وتأسست الكنيسة فى أوروبا فى بيت امرأة فكان أول بيت يستضيف الرسل فى هذه القارة العظيمة ، وهكذا توطدت الكنيسة فيها كما فى سائر أرجاء المعمورة بفضل أسبقية المرأة على الرجل فى قبول المسيح . . فهنا فى فيلبى فى مكان هادىء منعزل خارج المدينة على ضفة نهر حيث جرت العادة أن تكون صلاة ، جاء بولس ليغزو القلب الأول للمسيح فى أوروبا وليضع قدم الفادى للمرة الأولى على الأرض الأوربية فكانت هذه الساعة الخالدة فاصلة فى تاريخ أوروبا وبقيت آثارها على وجه التاريخ إلى يومنا هذا . . والفضل يعود إلى هذه المرأة

التى نشأت فى بيتها كنيسة فيلبي المباركة التى اشتهرت بروح السخاء فى العطاء والتوزيع كما يشهد الرسول بولس نفسه فى ختام رسالته لها وكان بتأثير ما أظهرته ليدية من روح الكرم والضيافة الحقة ! . أما فى تسالونيكى فقد انحاز جمهور من اليونانيين المتعبدين إلى بولس وسيلا ومنهم عدد ليس بقليل من النساء المتقدمات ، وفى بيرية كان ضمن الكثيرين الذين آمنوا بعض النساء اليونانيات الشريفات، وفى أثينا التصق البعض وآمنوا ولكن لوقا لا يجد من يستحق أن يذكر اسمه من بينهم إلا اثنان (رجل وامرأة) هما ديونيسيوس الأريوباغى وامرأة اسمها دامرس !

وفى كورنثوس برزت شخصية بريسكلا ، وكان اسمها قبلا فريسكا ، وقد جعلت من بيتها مقراً للاجتماع فقد حولته إلى كنيسة ، وهذه حقيقة مدهشة تحدثنا عن شىء خالد وهو : « كنيسة فى بيت » لأن الكنيسة ليست المبنى ولا الشكل والنظام بل كما يعرفها بولس هى « جماعة المفديين » ، ولاشك أن هذا البيت الذى أصبح كنيسة كان نموذجا طيبا للبيت السعيد الذى يواجه الحياة بكل أوضاعها دون أن يتزعزع فيصبح أهلا لالتقاء المؤمنين والترحيب بهم ، وهو مثال لبيوت أخرى مثله فى ذلك العصر وفى الاجيال المتعاقبة إلى يومنا هذا. والامر العظيم حقاً أن يأتى ذكر بريسكلا ومع إننا لا نعرف كثيراً عن المجهودات التى قامت بها ولكن يكفى ما بينه الكتاب عنها من أنها أخذت على عاتقها أن تعلم أبولس الذى يوصف بالفصاحة والاقتدار فى الكتب ، وهنا تبرز هذه المرأة الممتازة باشتراكها فى التوجيه والتعليم ، فلم تكن الصامت المتفرج أو الخائف الابكم بل أضحت من الجنود العظام الذين يعملون لتعزيز خدمة الله ممن تذكرهم السماء وتسجل أسماءهم من الجنسين على السواء والابدية لن تنسى أبداً أتعابهم !!

فاذا ما انتقلنا إلى الرسائل نجد رسول الأمم يبدأ اصحاحه الأخير من رسالة رومية بالتوصية على فيلبي خادمة كنيسة كنخريا ويشهد لها بأنها ساعدت الكثيرين كما ساعدته هو شخصيا ، ومن خطل الرأى إذا أن يقال عنها أن عملها لم يخرج عن تربية الأولاد فى البيت وإضافة الغرباء ، وفى هذا خلط واضح بين الواجبات العائلية فى البيت والخدمات الروحية فى الكنيسة فى حدود ما رسمته كلمة الله للمرأة المتطوعة

لخدمة مسيحها ، وفى آخر الاصحاح عينه يسلم على ستة وعشرين شخصاً بالاسم من بينهم ثمانى سيدات بالاضافة إلى فيبى ويصف ثلاثا منهن بأنهن تعبن فى الرب ، وواحدة تعبت لأجله هو ، ويصف أخرى بأنها « أمه » كذلك يشـــير فى رسالته إلى أهل فيلبى إلى سيدتين هما أفودية وسنتيخى ويقول عنهما انهما « جاهدتا معه فى الإنجيل .

وفى رسالته الثانية إلى تيموثاوس يذكره بأن الإيمان ثابت فيه لأنه أخذه عن جدته لوئيس وأمه افنيكى ، أما فى رسالته إلى فليمون فيبدأها بتحية إلى من يوجه إليه الرسالة وإلى أبفية المحبوبة .

فلو تأملنا كل ما قاله بولس عن خدمة المرأة فى الكنيسة وحقها فى الجهاد والتعب من أجل الانجيل لادركنا مسئوليتها تمام الادراك وقدرناها حق قدرها ، وقد استمر هذا التقدير إلى ما بعد أيام الرسل ، فقال ترتليان فى أعقاب العصر الرسولى : « لم تكن النساء تصلى مع الرجال فحسب ، بل كانوا يتبادلون معا التحريض والتدعيم (أى الوعظ والنصح) لأنهم وجدوا معاً فى حالة المساواة فى كنيسة الله ، إنها مساواة فى دائرة النعمة التى تحت كل الفوارق » وإزاء ذلك هتف ليبانيوس الفيلسوف — وكان معاصرا لذهبى الفم — قائلا : « ما أعظم نساءكم أيها المسيحيون ! ، فلقد كانت المرأة فى تلك العصور تعمل « شماسة » ، وهذه لفظة تعنى فى اللغة الأصلية «خادمة» فكانت تقوم بافتقاد العائلات أسبوعيا والاستفسار عن المرضى والغرباء والوقوف على أحوال شعب الله لمعرفة ما يحتاج إليه من خدمات . ومن الأمور التى أوردتها قصة الكنيسة القبطية ، التجاء البابا اثناسيوس وهو مطارد لمنزل شماسة باسكندرية ومكوثه به زهاء ست سنوات إلى أن زال عنه الخطر ، وكذلك أداء المرأة عمل السكرتيرة فقد كان لاوريجانوس سبع سكرتيرات يحسن الكتابة فكان يملى عليهن كتاباته وهذا يبين مدى تقدير الآباء لخدمة المرأة .

والمجال لا يتسع للحديث عن المتنسكات ولا عن الشهيدات لأن أمرهن معروف والكثير من سيرهن شائع ، ومن هذه السير نرى كيف أن المرأة تحملت الإضطهاد

فى رضى، بل أنها كانت — فى بعض الأحيان — تراقب أبناءها بين أيدى جلاديهم دون أن تتراجع !!

• • •

أما الإدعاء بعدم وجود فرق بين عصر الناموس وعصر الروح القدس الذى نعيش فيه الآن ، فهو زعم باطل ، والأولى أن يقال أنه إن كان العهد القديم — بكل تحفظاته — قد أعطى المرأة حق المشاركة فى العبادة والخدمة حتى ظهرت فيه مريم المرنمة، ودبورة القاضية، وخلدة النبية ، فان العهد الجديد قد فتح الباب على مصراعيه أمام المؤمنات ، فرد بذلك للمرأة إعتبارها الذى داسته التقاليد اليهودية حين إبتعدت عن الشريعة الالهية ! وهكذا رأينا فيه من النساء المسيحيات من قمن بشتى الأنواع من الخدمات ومن بينهن من حملن الرسالة إلى بلاد نائية وذلك لأن الكرازة أمر أصدره رب المجد إلى جميع المؤمنين باسمه من رجال ونساء . على أنه — ككل أوامر المسيح — يرتكز فى تنفيذه على الاستجابة القلبية التلقائية !

وتاريخ الميثودست وجيش الخلاص والارساليات فى مشارق الأرض ومغاربها حافل بالكثير من أجل الخدمات التى قدمتها نساء فضليات ، وسجلاته تشهد بأن الله قد اعترف للمرأة بحقها فى الخدمة والكرازة وبارك خدمتها بصورة عجيبة ظهرت فى خلاص الجماهير ، وربما كان من بين المعترضين أنفسهم من خلص بكرازة امرأة ... ومن ثم فعندما توجد أماكن خالية فى حقول التبشير والخدمة لا يتقدم لها الرجال ، ليس هناك ما يمنع أن تملأها بعض النساء ويشغلنها ، وحينئذ يكرم الله شجاعتهن النادرة وهذا بحسب سلطانه المطلق فى إستخـــدام الأوانى المكرسة أياكانت لإتمام مقاصده ! !

ولهذا لم تكن الأخت ستانسكى التى رحبنا بخدمتها بيننا فى الفترة الأخيرة أول من أرسلهن الله لخدمة من هذا النوع ، فقد سبق أن أرسل الكثيرات من حين لآخر لبلادنا وغيرها على السواء ، فضلا عن أن هذه الأخت كارزة تحمل شهادة رسمية من الهيئة الدينية التى تتبعها بذلك .

وقد سبق ان زارت بلادنا الأخت كولنز التى سمع على فمها رسالة الانجيل مالا يقل عن مائة الف نفس فى مختلف نواحى الجمهورية ، وبسبب الزحام فى مدينة المنيا اضطرت إلى عقد اجتماعاتها فى صالة للعرض السينمائى، وقد كتبت عنها كبريات الصحف والمجلات التى تصدر باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية ، وقد رفعت اسم المسيح فى بلادنا ونادت بانجيله . واستخدمها الله فى معجزات شفاء ، بل ان الكثيرين كانوا يأتون من قراهم سيرا على الأقدام لحضور اجتماعاتها ، وقد عقدت لها الكنائس الرسولية بجمعا روحيا فى فناء مدرسة القديسة هيلانه بجزيرة بدران بالقاهرة ، وقد ضمت اجتماعاتها التى عقدتها بالقاهرة جميع المؤمنين من كل الطوائف المسيحية ، فكان يحضرها آباء أفاضل من كهنة الأرثوذكس والكاثوليك وراهبات من الطائفتين ، وأيضا بعض من حضرات رعاة وأعضاء الكنائس الإنجيلية المختلفة ولقد شهد الكثيرون لخدمتها ، بعد ما لمسوا قوة الاستخدام الإلهى لها ، وقالوا عنها أنها ملاك مرسل من الله .

ولما بدأ بعض الحاسدين يهاجمونها ، رد عليهم خالد الذكر القمص سرجيوس بقوله : « لاعجب من هذه المهاجمة ، فقديما وقف الفريسيون أمام معجزات المسيح وعجائبه يتهمونها بأنها من فعل بعلزبول رئيس الشياطين . فليس بغريب أن يكون البعض قد عز عليهم أن يروا امرأة تصنع باسم المسيح من المعجزات مايعجزون عن الإتيان بمثله ، فعوضا عن أن يعترفوا بالحقيقة الواردة فى الانجيل راحوا يتشبهون بالفريسيين ورؤساء كهنة اليهود أيام المسيح . . والخ » .

وهذه شهادة رجل عبقرى وهبه الله عقلية جبارة ممتازة كانت تدفعه دائماً للوقوف بجانب الحق باعتراف كل عارفيه ! !

ويعوزنى الوقت إن أردت أن أتحدث عن « ايفا بوث » قائدة جيش الخلاص التى كانت تستعذب السخرية وتواجه الخطر من أجل النفوس حتى أطلقوا عليها « الملاك الأبيض » ، « وماما لليان تراشر » التى أنقذت باسم المسيح قرابة عشرة آلاف نفس من أرامل وأيتام المصريين حتى لقبت « أم النيل » ، وغيرهما كثيرات

من المكافحات اللواتى ستكشف عنهن الأبدية فى وقت قريب ، فستحظى الكثيرات منهن بمكانة قد لا يصل إليها إلا قلة ضئيلة من الرجال « لأن الله ليس بظالم حتى ينسى تعبهن وعمل محبتهن » .

أما اعتبار وقوف الأخت — الكارزة طبعاً — على المنبر أمراً شاذاً ولا يجب السماح به ، فقد فتشت الكتاب المقدس من أوله لآخره بكل تدقيق ، فلم أجد فيه ذكراً لما يسمى هكذا سوى مرة واحدة وردت فى سفر نحميا (ص ٨ : ٤) حيث نقرأ : « ووقف عزرا الكاتب على منبر الخشب .. » ، وكان هذا فى اجتماع شعبى كبير فى إحدى الساحات فكان من الضرورى أن يعمل منبراً خشبياً مرتفعاً حتى يساعد هذا على استفادة الحاضرين — وهم كثرة هائلة — من قراءة وتفسير الشريعة ، وهذا ينفى الوهم الذى سيطر على بعض الذين يعتبرون المنبر مساوياً للهيكل ، فى حين أن المنبر لم يصنع إلا لزيادة الاستفادة من كلمة الله ، فمتى دعا الله امرأة من بناته القديسات لقراءة فى كتابه ، وتقديم كلمة وعظ وإرشاد ، فإنها تستوى فى ذلك مع من يدعون من الإخوة العاديين فى مثل هذا الموقف ، فضلا عن أنه ليس من الضرورى أو اللازم وجود المنبر أو استخدامه فى سائر الأحوال ولو من الرعاة أنفسهم وهذا يسلم به الجميع !!

بقى أن نشير إلى أن محاولة البعض الخروج من هذا المأزق كله بالقول بأنه يجوز للمرأة أن تمارس نشاطها ومواهبها ولكن مع النساء فقط وفى اجتماعات السيدات الخاصة بهن ، فهذا القول لا يسندهم لأن حرية الاستخدام فى الاجتماع العام مكفولة لكل من الرجل والمرأة على حد سواء ، لأن روح الله حر فى اختيار الإناء وهو وحده الذى يتولى قيادة الإجتماع .

فإن كانت موهبة الروح القدس قد انسكبت على النساء كما على الرجال بالسوية فمن يقدر أن يمنع ظهوره فيهن واستخدامه لهن كما لنا نحن الرجال بالتمام ! ؟ وليذكر المعترض هنا قول الرسول بطرس « فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسوية .. فمن أنا ؟ أقادر أنا أن أمنع الله ؟ » (أع ١١ : ١٧) .

رابعاً : تمثيل صفات المرأة فى المسيح:

مجدت المسيحية الجوانب الضعيفة من الطبيعة البشريه على عكس اليهودية والوث فتمجد فيها اللطف والطهر وصفات الجانب النسائى فى وقت كان فيه الرومان يمجدو الصفات القوية التى اتصف بها الرجال . لقد تمجدت جوانب المجد الرجالى حتى ش نور الصليب الذى كشف عن جوانب المجد النســـائى فى اللطف والاحتمال با والاستشهاد . فلئن كان شعار العهد القديم « الرب رجل الحرب » فإن إعلان العه الجديد هو « الله محبة !! » ولقد جمع ربنا يسوع المسيح فى شخصـــه الفريد أجنا الجانبين معاً ، فقد أعلن الكتاب التقاء الجنسين فى المسيح بقوله : « ليس ذكر ولا أنثى لأنهما واحد فى المسيح » لأن الجانبين قد اجتمعا معاً وانتهيا إليه بل لقد اتحد فيه كلاهما على حد سواء !!

قبل المسيح كانت الصفات المكرمة والمعتبرة إلهية هى صفات الرجل كالشجاعة والحكمة والحق والقوة ، ولكن المسيح أعلن عن صفات أخرى عكسية هى الوداعة والطاعة والعاطفة والطهارة لما تكلم عن أنقياء القلب والودعاء والمساكين بالروح ، وهذه صفات تتجلى بوجه أخص فى المرأة . فالمسيحية تميزت بأنها لا ترفع القوة ولا العقل بل اللطف والطهر العذراوى ، وهذه فكرة جديدة أعطيت للعالم كنتيجة لظهورها فى شخص المسيح العظيم محرر كل من المرأة والرجل والطفل بل والحياة بأسرها .

وذلك لأن ربنا يسوع بناسوته الكامل قد مثل ليس فقط عنصر الرجال بل وجنس النساء أيضاً ، إنه ابن الإنسان بالمعنى المطلق العام أى ممثل البشرية كلها أجمع ، فهو الكائن الفريد كالإله المتأنس ، وليس هذا فقط بل هو الكائن الوحيد الكامل فى بشريته حتى اجتمع فيه قلب النساء وعقل الرجال ، خلاصة ما فى الرجال وأهم ما فى النساء . كان صلباً وقت التجربة ، كما كان هادئاً وسط زئير الجماهير وزمجرتها ، كان دقيقاً كشاهد للحق فرفض مساومة الغنى وتركه يرجع ويهلك لأنه أراد هذا لنفسه ،

كما كان رقيقاً بغير تهاون فى علاج موقف المرأة المشتكى عليها ، وبخ بطرس بعد ما طوبه ، وأعلن مصير أورشليم بدموعه رغم استعلان عظمته التى لا تبارى .

نعم . إن ناسوته الكامل حقاً لا يمثل الرجال فقط بل النساء أيضاً ، فهو صاحب الناسوت الإلهى ليس من الجانب الرجالى الخشن فقط ، بل ومن الجانب النسائى اللطيف أيضاً ، فهو لم يهمله أو يعتبره جانباً لا يستحق الاعتبار.

فقد تم فى يسوع إذا تكريم كل الصفات البشرية رجالية ونسائية على حد سواء ، فيا لرفعة المرأة بالنسبة لتأثيرها فى هذا العالم بعد ما لمعت صفاتها وتقدست فى المسيح وتجلت فيه كاملة ، ويا لها من مساواة التقت عندها صفات كل من المرأة والرجل فى ممثلهما الواحد الوحيد وسيط الجنس البشرى الفريد!!

خامسا : تكريم المرأة فى تشبيه الكنيسة بعروس:

وبجانب كل ما سبق ذكره ، لا يفوتنا أن نختم بحثنا هذا باشارة هامة ، هى أن الجنس الأنثوى لم يكن فى يوم من الأيام سبة أو مدعاة للازدراء والتشهير ، حتى يتسنى لواحد من الموتورين أو المأجورين بأن يصفها بأنها اقتحام وعصيان ، ويقال عن استخدامها لحريتها الروحية أنها أجرأ مخالفة وأشنع انتهاك للنظام الإلهى . فهذه أقوال يلقى بها أصحابها جزافا دون إدراك منهم لحقيقة التعليم الصحيح المقرر فى كتاب الله لبيت الله ، ومثل هؤلاء قد أقاموا أنفسهم معلمين وأوصياء على شعب الرب ، وهم أول من يحتاج إلى تعلم أركان بداءة أقوال الله ماهى (عب ٥ : ١٢) .

أما المرأة المسيحية بحق ، فيكفيها فخراً استخدام لقب العروس - وهى أنثى للتعبير عن جماعة المؤمنين من الرجال والنساء على السواء ، فقد قال يوحنا المعمدان : « من له العروس فهو العريس » (يو ٣ : ٢٩) وقال بولس: خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح (٢ كو ١١ : ٢) ، وقال يوحنا البشير فى رؤياه عن الكنيسة أنها العروس امرأة الخروف » ، وقد اعتبر الرجال على مر العصور بأن هذه التسمية جائزة وعدوها شرفا ما بعده شرف ، وتكريماً لا يعلوه تكريم ، وتمسكوا بها

وانتظمت بشأنها الترنيمات التى يشترك فيها الجنسان معاً على السواء وسيستمران كذلك إلى الأبد :

أما ما يزعمه البعض من أن الفرق بين المرأة والرجل لن يمحى إلا فى المجد عندما يأتى المسيح ويغير هذه الأجساد الفاسدة ،وعندئذ لن يكون هناك تقدم الرجل أو تأخر للمرأة ، فهو قول حق من الوجهة النهائية حين يصبح المؤمنون والمؤمنات كملائكة الله لا يزوجون ولا يتزوجون (مت ٢٢ : ٣٠) ، ولكن فات المعترض أن أجسادنا التى توصف بالفساد لم توصف بهذا إلا من حيث قابليتها للفساد نتيجة للموت فقط ، فليس المقصود هنا هو أننا ما دمنا فى هذا الجسد فإننا نعيش فى فساد لأننا بنعمة الله ، وبفعل الروح القدس مقدسون ، بل أن أجسادنا هذه قد انتسبت للمسيح حين قال الرسول ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح (اكو٦:١٥) ونحن على الدوام نطهر ذواتنا من كل دنس ونسلك مكملين القداسة فى خوف الله ، ونختبر حضور الله فى وسطنا،الأمر الذى إذ نتمتع به نحظى بأيام السماء على الأرض بحسب وعد إلهنا الكريم ، وبهذا نتذوق الأمجاد ونحن بعد فى هذه الأجساد ، ولكن على قدر ضئيل ، ونزداد تمتعا بها لحين دخولنا إليها !!

وبذلك استقر مقام المرأة فى الحياة الثانية حيث لا زواج ولا مأكل ومشرب بل انطلاق من الماديات إلى حالة أخرى مباركة تليق بذلك المقام الروحى المقدس فى حياة الخلود مع المسيح ، رب المجد ، وبذلك عرفت المرأة مصيرها السعيد بعد الموت إذ قرر لها المسيح ذلك الوضع الرائع الجميل : فهى فى الإيمان به هنا كالرجل المؤمن ، وهى بعد الموت تشارك الرجل ذات الأمجاد . والمسيحية هى التى رفعت المرأة إلى هذا المستوى الرفيع وبذلك تعيش المؤمنة وتموت وهى آمنة مطمئنة فهى فى الحياة الحاضرة تحيا بكرامة واحترام وفى الحياة الثانية ترتقى إلى قمة الشرف العظيم إذ تتمتع بالقداسة والنور والبهاء مع صفوف الأطهرين !!

فلنسأل إلهنا أن يعيننا إذاً جميعاً على السهر والانتظار ، وكل من أخذ منا موهبة - رجلا كان أو امرأة - فليخدم بها فى كل حين إلى أن يجىء فادينا الأمين فنكون معه كل حين فى الأبدية السعيدة إلى دهر الداهرين . آمين !

خاتمة

لاشك أنه قد اتضح لنا بالبراهين القاطعة أن عدم الاعتراف بمكانة المرأة فى المسيحية ومقاومة خدمتها فى الكنيسة ، هى فى الواقع مثار دهشة لأنه لا يترتب على اعترافنا للمرأة بحقها فى ذلك أية نتائج ضارة أو سيئة ، ولكن الإنسان قد جبل على المقاومة متى اقتنع بوجود حالة تخالف حالته الشخصية ، لأنه يريد أن يجعل نفسه مقياساً يقيس به الآخرين ، متوهما أن هذا المقياس هو الحق الكتابى .

وقد تكون المقاومة بدافع تقليد الآخرين أو خشية الاصطدام بما يخالف عقيدة الانسان الخاصة ، وهذا هو التعصب الأعمى المرذول ، الذى يمنع صاحبه من رؤية الحق .

وقد يكون الدافع للمقاومة هو الغيرة والحسد من اختبارات غيرنا ونجاحهم وخاصة إذا أحس الرجل بمنافسة المرأة له من جهة تقدمها عنه فى الاختبارات الروحية . وأنه لمن الغريب أن نرى مواقف شاذة مضادة ، يقفها من يظنون أنهم قد تقدموا روحياً ، وهؤلاء يبنون مقاومتهم على ما يدعونه من وصولهم إلى درجة عالية من التميز كنتيجة لسيرهم الطويل فى طريق الإيمان ، وكأنهم قد أدركوا كل شىء وحصلوا على كل علم مع أن ما أدركوه على الوجه الصحيح لا يعدو أن يكون من التوافه التى لا تستحق الذكر .

ولما كان الامتلاء بالروح القدس يجلب اضطهاداً على من يحصل عليه كما هو واضح من البداية ، ولما كانت المرأة فى الشرق لاتزال فى نظر بعض المتأخرين مقيدة بل أسيرة للرجل ، فإن مشقة الحياة الروحية تتضاعف بطبيعة الحال ، ولكنها أمام هذا البحث الكتابى وفى ضوء ماورد به من حقائق لاتدحض ، قد حصلت من محررها الأعظم على وثيقة تحريرها التى قدمها لها المصلوب بدمه الكريم معينا لها على حمل صليبه.

تم الكتاب بعونه تعالى

المرأة فى موكب المسيح ...

من نظم الأخ جاد المنفلوطى

حيثما كان يسوع ... يتمشى فى الربوع
تبعته السيدات ... خادمات معطيات
له مما عندهن ... ولذا نحن وهن
نخدم الفادى الجليل ... ليس فينا من ذليل
بل على حد سواء ... إن رجالا أو نساء

• • •

قف تأمل من قريب ... عند أقدام الحبيب
مريم تصغى إليه ... ولقول شفتيه
لا تبالى بملام ... أو عتاب أو كلام
فاستحقت الثناء ... وهى من جنس النساء
هل لك أدنى اعتراض ؟ ... أم بهذا القول راض ؟

• • •

وكذا كان انشغال ... أختها مرثا طوال
يومها فى الاهتمام ... كى تجهز الطعام
لمسيحنا العظيم ... ذلك الضيف الكريم
يا له من احتفاء ... به من إحدى النساء
كيف بعد ذا يقال ... إنها دون الرجال ؟!

• • •

ثم حين أمسكوه ... لم يكن من شاركوه
ذلك الظرف العصيب ... أو أحاطوا بالصليب
قط غير المريمات ... إذ وقفن باكيات
أين كنتم يا أباه ؟!! ... أين من من قبل فاه
قائلا : « حتى المهات » ... سوف أبقى فى ثبات ؟!

• • •

أين كنتم يا رفاق ... وظلام الليل باق ؟
هل خرجتم فى الظلام ... بينما الناس نيام ؟
لا . ولكن أخريات ... قد خرجن مسرعات
وذهبن فى البكور ... ورجعن بالسرور
قائلات كالملاك ... إنه ليس هناك

فاذن لم العقوق ؟ ... لم إنكار الحقوق ؟
لم إغماط النساء ... حقهن والسماء
أعطت الفضل لهن ... فكما فى البدء كن
أصل شر وبلاء ... جاء منهن الفداء
ولهن فى الخلاص ... مثلما نلن القصاص ؟

فلمه لا تشكرون ... فضلها أو تذكرون
وتقولون السكوت ... ينبغى ألا يفوت
جنسها فى الإجتماع ... إكتفاء بالسماع
أى سفر فى الكتاب ... قال ذا القول العجاب ؟
أم الستم تقرأون ... فيه عن أخت هرون(١)

وألوف بالدفوف ... عند شط بحر سوف
قد وقفن هاتفات ... راقصات منشدات
عن خلاص ونجاه ... من يد القوم العتاه
أو عن الأخت ياعيل(٢) ... أو عن ابنة فنوئيل(٣) ؟
إن ذا نذر يسير ... وقليل من كثير

كم لها من خدمات ... باقيات خالدات ؟
كم لها قلب رقيق ... كم لها حب عميق ؟
كم لها حب ثمين ... سكبته ناردين
فى سبيل ابن الاله ... من أتانا من علاه ؟
إنها أم المسيح ... فبها لاق المديح .

---

(١) خروج ١٥: ٢٠، ٢١ ... (٢) قضاة ٤: ١٧-٢٣
(٣) لوقا ٢: ٣٦

محتويات الكتاب

	صفحة
الإهـــداء	٣
تمهيـــد	٥
الفصل الأول : مركز المرأة فى الحياة العائلية . .	٧
الفصل الثـــانى : منزلة المرأة فى الحياة الاجتماعية. .	١٩
الفصل الثالث : مقـام المرأة فى الحيـاة البشرية .	٢٨
الفصل الرابع : سمو المرأة فى الحياة الروحية . .	٤١
خاتمـــة	٦٩
تذييـــل	٧٠

مطبعة النصر شبرا مصر ٥٩٣٧٧

القس صموئيل مشرقى

المرأة

نصف المجتمع, معين زوجها , أم أولاد , مربية أجيال , نسمة صيف , رقة وعذوبة , واحة وراحة على المستوى العائلى والاجتماعى والروحى , فهى فاطرة النهضة انسانيا وروحيا, امرأة فاضلة من يجدها امرأة مصلية والرائية ونبية ثمنها يفوق اللآلئ كل هذا وغيره ستجده بين صفحات هذا الكتاب الرائع مكانة المرأة فى المسيحية لمعلم الاجيال القس صموئيل مشرقى